# الباب الثالث

## من البعثة إلى الهجرة

- **الفصل الأول:** الدعوة السرية: ثلاث سنين.

- **الفصل الثانى:** الجهر بالدعوة داخل مكة: سبع سنين.
من بداية العام الرابع من البعثة إلى أواخر العام العاشر.

- **الفصل الثالث:** الجهر بالدعوة خارج مكة: ثلاث سنين.
من العام الحادى عشر إلى العام الثالث عشر من البعثة.

# الفصل الأول

## الدعوة السرية : ثلاث سنين

- بشائر النبوة .
- جبريل ينزل بالوحى .
- فتور الوحى وعودته .
- صور الوحى المحمدى .
- إلى ماذا يدعو محمد ﷺ .
- علاقة دعوة محمد ﷺ بالدعوات السماوية السابقة .
- أمر القيام بالدعوة إلى الله سراً .
- إسلام أبو بكر الصديق رأثره فى الدعوة .
- أفواج السابقين إلى الإسلام .
- ابتداء فرض الصلاة .

# الفصل الأول

## الدعوة السرية ثلاث سنين

### بشائر النبوة

**الرؤيا الصالحة الصادقة:**

كان أول ما بدأ به الوحي، الرؤيا الصالحة الصادقة، فكان رسول الله ﷺ لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، حتى مضت على ذلك ستة أشهر. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه، أي يتعبد، الليالي ذوات العدد [1]، قبل أن يرجع إلى أهله يتزود لذلك. وذلك هو ما جرت به عادة المولى عز وجل في خلقه من التدرج في الأمور كلها، حتى تصل إلى درجة الكمال.

**اختلاؤه في غار حراء:**

لما قارب رسول الله ﷺ سن الرشد والكمال وهي أربعون سنة، حُبب إليه الخلاء، فكان يأخذ الطعام والماء، ويذهب إلى غار حراء، في جبل النور على بعد نحو ميلين من مكة، فكان يقيم فيه شهر رمضان، يطعم من جاءه من المساكين، ويقضي وقته في العبادة، والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون، وفيما ورائها من قدرة مبدعة، وهو غير مطمئن لما عليه قومه من عقائد الشرك المهلهلة، وتصوراتها الواهية، ولكن ليس بين يديه طريق واضح ولا منهج محدد يطمئن

---

(١) الليالي ذوات العدد: أي أن رسول الله ﷺ كان يجلس في الغار ثلاثة أيام بلياليهن فأكثر.

إليه ويرضاه [١] . وكان اختيار رسول الله ﷺ لهذه العزلة، طرفاً من تدبير المولي عز وجل له، لإعداده ﷺ لما ينتظره من الأمر العظيم، ولابد لأي نفس يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية لتحولها إلى وجهة أخرى، لابد لها من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض وصخب الحياة وهموم الناس.

## جبريل عليه السلام ينزل بالوحي

لما كان رمضان من السَّنَّة الثالثة من عزلته ﷺ بغار حراء، شاء المولى عز وجل أن يفيض من رحمته على أهل الأرض، فأكرم رسوله ﷺ بالنبوة ، وأنزل إليه جبريل عليه السلام، بآيات من القرآن. وبعد النظر والتأمل في القرائن والدلائل، يمكن أن نحدد ذلك اليوم، بأنه كان يوم الإثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلاً، ويوافق ١٠ أغسطس سنة ٦١٠ ميلاديه، وكان عمر رسول الله ﷺ إذ ذاك بالتحديد، أربعين سنة قمرية وستة أشهر واثنا عشر يوماً، وهو مايعدل نحو تسع وثلاثين سنة شمسية وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً [٢] .

بينما رسول الله ﷺ قائم، في بعض الأيام، على الجبل، إذ ظهر له شخص وقال: أبشر يامحمد، أنا جبريل، وأنت رسول الله إلى هذه الأمة، ثم قال له: اقرأ. قال ﷺ : ما أنا بقارئ. فأخذه فغطه [٣] بالنمط الذي كان ينام عليه، حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال: اقرأ. قال ﷺ : ما أنا بقارئ. فأخذه ثالثة، فغطه، ثم أرسله فقال: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)** ﴾ [العلق : ١-٥] .

---

(١) رحمة للعلمين ١ / ٤٧؛ ابن هشام ١ / ٢٣٥، ٢٣٦؛ فى ظلال القرآن ٢٩ / ١٦٦ .

(٢) الرحيق المختوم لفضيلة الشيخ صفى الرحمن المباركفورى صـ٦٥ بالهامش .

(٣) غطه: أى ضمه إليه وعصره كما تضم الأم ولدها إلى صدرها رحمة به وشفقة عليه.

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زملوني [١]، زملوني، زملوني، لتزول عنه هذه القشعريرة، فزملوه حتى ذهب عنه الروع [٢]، فقال لخديجة وأخبرها الخبر وقال ﷺ لقد خشيت على نفسي، لأن الملك غطه حتى كاد يموت. فقالت خديجة رضي الله عنها: كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك تصل الرحم، وتحمل الكلَّ [٣]، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فلا يسلط الله عليك الشياطين ولا الأوهام، وانطلقت به إلى ورقة بن نوفل [٤]، فقالت له خديجة رضي الله عنها: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: يا ابن أخي هذا هو الناموس الذي نزَّله الله على موسى عليه السلام، ياليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً، إذ يُخرجك قومك. فسأله رسول الله ﷺ: أو مُخْرِجِيَّ هم؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجلاً قط، بمثل ما جئت به، إلا عُودِيَ، وإن يدركني يومك، أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفى، وفتر الوحي [٥].

## الدروس المستفادة:

[١] تقرير أن الرؤيا الصالحة الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، لأن فترة الوحي كانت ثلاثاً وعشرين سنة، منها ستة أشهر كانت مناماً.

[٢] تقرير سُنَّة، أن الأنبياء غالباً يُرسلون على رأس الأربعين من أعمارهم.

[٣] أهمية تنمية محبة الله تعالى في القلب، بأن يجمع المسلم إلى شغله، ساعات من العزلة والخلوة، يحاسب فيها النفس، ويراقب الله تعالى، ويفكر في آلاء الله ونعمه.

---

(١) زملوني: أى أدخلوني فى ثياب وغطوني بها.

(٢) الروع: أى الفزع والخوف.

(٣) الكلُّ: التعب الحَسِرُ من الإعياء.

(٤) ورقة بن نوفل: بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة رضي الله عنها، وكان شيخاً كبيراً قد فقد بصره، تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب.

(٥) صحيح البخارى ١ / ٢، ٣؛ أخرجه البخارى مع اختلاف يسير فى اللفظ فى كتابى التفسير وتعبير الرؤيا.

[ ٤ ] مشروعية العزلة، إذا فسد الناس وأصبح المؤمن لا يسلم من شرهم.

[ ٥ ] بيان أن أول ما نُبِّئ به رسول الله ﷺ هو ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾. وأن النبوة كانت قبل الرسالة، إذ نُبِّئ رسول الله ﷺ بأقرأ، وأُرسِل بالمدثر، وبينهما فترة من الزمن.

[ ٦ ] أهمية القراءة، وطلب العلم والتعليم للأُمة المحمدية، أُمة أقرأ.

[ ٧ ] بيان ذكاء السيدة خديجة رضي الله عنها وسلامة فطرتها.

## فتـــور الوحي وعودتـــه

انقطع الوحي فترة، قيل أربعين يوماً، حزن رسول الله ﷺ خلالها حزناً شديداً، وأشتد به الأم النفسى، حتى صرح لخديجة رضي الله عنها، بأنه خائف على نفسه. وكان كلما أشتد به الحزن، هام على وجهه في جبال مكة وشعابها، وعدا مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكان كلما أدنى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه، تبدي له جبريل عليه السلام يقول: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك وحدث مثل ذلك [١].

روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن عودة الوحى، قال: فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قِبَلَ السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئيت منه، حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملونى، زملونى، زملونى، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦ ﴾ [المدثر: ١-٥]، [٢] ثم حمى الوحي وتتابع.

فكانت هذه الأوامر المتتابعة القاطعة إيذاناً لرسول الله ﷺ بأن الماضي قد انتهى بهدوئه، وأنه أمام عمل جديد يستدعي اليقظة والتشمير، والإنذار والإعذار.

---

(١) روى ذلك البخارى فى كتاب التعبير.

(٢) صحيح البخارى ـ كتاب التفسير باب ﴿ والرُّجْزَ فاهْجُرْ ﴾ ٢ / ٧٣٣ .

## صـــور الوحـــي المحمـــدى

الوحي إلهام ينضح على القلب، بمراد الله، في صورة واضحة، لاتحتمل ريبة، وله مراتب شتى بعضها أيسر من بعض.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [ الشورى : ٥١ ] .

**وقد ذكر ابن القيم سبع مراتب للوحي هى:**

[ ١ ] الرؤيا الصالحة الصادقة وكانت مبدأ وحيه ﷺ .

[ ٢ ] ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه ﷺ، من غير أن يراه. قال رسول الله ﷺ : **"أن روح القدس نفث في روعي أنه ؛لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية، فإن ماعند الله لاينال إلا بطاعته"** .

[ ٣ ] أن يأتيه الملك في صورة رجل، وهو أهونه عليه لوجود التجانس المطلوب عادة للتفاهم بين المتخاطبين، فيخاطب رسول الله ﷺ حتى يعي عنه ما يقول، وكثيراً ما كان يأتيه جبريل عليه السلام في صورة دحية بن خليفة الكلبي الأنصارى، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً.

[ ٤ ] أنه كان يأتيه مثل صلصلة الجرس. وكان أشده عليه، فيلتبس به الملك، حتى أن جبينه ﷺ ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، وحتى أن راحلته لتبرك به إلى الأرض، إذا كان راكبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك، وفخذه ﷺ إلى فخذ زيد بن ثابت، فثقلت عليه حتى كادت ترضها.

[ ٥ ] أن يُرى الملك في صورته التي خُلِقَ عليها، فيوحي إلى رسول الله ﷺ مايشاء الله أن يوحيه. وهذا وقع لرسول الله ﷺ مرتين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [ النجم : ١٣ ] .

[ ٦ ] ما أوحاه المولى عز وجل إلى رسول الله ﷺ ، وهو فوق السماوات، ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

[ ٧ ] كلام المولى عز وجل لرسول الله ﷺ ، بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة ثابتة لموسى عليه السلام قطعاً بنص القرآن، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [ النساء : ١٦٤ ] . وثبوتها لنبينا ﷺ ذكر في حديث الإسراء.

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة، وهى تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب، وهى مسألة خلاف بين السلف والخلف (١) . والحق أن المرتبة الثامنة ليست بثابتة.

## الدروس المستفادة:

[ ١ ] لطف المولى عز وجل بنبيه ﷺ فترة انقطاع الوحى، فكان يُرسل إليه جبريل عليه السلام يناديه، ويطمئنه، ويبشره بأنه رسول الله حقاً.

[ ٢ ] تشويق رسول الله ﷺ إلى الوحي بانقطاعه عنه فترة من الزمن، ليأنس ﷺ بالوحي وليقو على عنائه، فإنه مصدر رسالته ومدد دعوته.

[ ٣ ] بيان أن أول ما أُرسل به رسول الله ﷺ هو النذارة. والبشارة لمن قبل النذارة، فآمن بالله واتبع رسوله ﷺ .

[ ٤ ] بيان ما أُمر به رسول الله بعد فترة الوحي من التوحيد والطهارة والاستمرار على هجر الأوثان.

[ ٥ ] بيان صور الوحي المختلفة.

---

( ١ ) انظر زاد المعاد ١ / ١٨، مع تلخيص يسير فى بيان المرتبة الاولى والثامنة.

## إلى ماذا يدعو محمد ﷺ ؟

**شرع رسول الله ﷺ يكلم الناس في الإسلام، ويعرض عليهم الأخذ بهذا الدين الذي أرسله المولى عز وجل به، وعماد ذلك عدة أشياء:**

**أولاً: الوحدانية المطلقة:** فكل شئ في السماء والأرض عبد لله ، ومن حق كل امرئ أن يهرع إلى ربه رأساً غير مستصحب معه خلقاً آخر.

**ثانياً: الإيمان بالدار الآخرة:** فهناك يوم لا شك في قدومه، يلقي الناس فيه ربهم فيحاسبهم حساباً دقيقاً على حياتهم الدنيا. قال تعالى: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)** ﴾ [ الزلزلة : ٧ – ٨ ] .

**ثالثاً: تزكية النفس:** وذلك بلزوم عبادات معينة شرعها المولى عز وجل، وترك أمور حذراً من مغبتها. قال تعالى: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)** ﴾ [ الأنعام : ١٥١–١٥٣ ] .

**رابعاً: تزكية المجتمع:** باعتباره وحدة متماسكة تقوم على الأخوة والتعاون. وذلك يقتضى؛ نصرة المظلوم، وإعطاء المحروم، وتقوية الضعيف. قال تعالى في سورة المدثر، أول سورة أُمر فيها رسول الله ﷺ بالبلاغ: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**

رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) ﴾ [ المدثر : ٣٨-٤٨ ] .

## علاقة دعوة محمد ﷺ
## بالدعوات السماوية السابقة

محمد ﷺ خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده. قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ [ الأحزاب : ٤٠ ] .

وقال رسول الله ﷺ : " **مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة؟ ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين** " (١) . فدعوة رسول الله ﷺ قائة على أساس التأكيد والتتميم لدعوات الأنبياء السابقين.

فكل نبي تقوم دعوته على دعامتين اثنتين؛ الأولى العقيدة، والثانية التشريع. فأما العقيدة؛ فلا يختلف مضمونها منذ بعثة آدم عليه السلام إلا بعثة خاتم الأنبياء، محمد ﷺ ، وهى الإيمان بالله وحده وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من الصفات، والإيمان برسل الله جميعاً، وملائكته وكتبه واليوم الآخر.

قال تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ [ الشورى: ١٣ ] .

أما التشريع؛ وهو سن الأحكام التي يتوخى منها تنظيم حياة الفرد والمجتمع، فتختلف في الكيف والكم ما بين بعثة نبي وآخر، صلوات الله عليهم أجمعين، حسب ما تقتضيه مصالح العباد في كل زمان ومكان، وتعتبر شريعة كل رسول ناسخة للشريعة السابقة، إلا ما تؤيده الشريعة المتأخرة، فشرع ما قبلنا شرع لنا ما لم يرد ما يخالفه.

---

(١) حديث متفق عليه واللفظ لمسلم.

وعليه فلا توجد عقائد سماوية متعددة، ولكن توجد شرائع سماوية متعددة، نسخ اللاحق منها السابق إلى أن جاءت الشريعة السماوية الأخيرة، التي قضت حكمة المولى عز وجل أن يكون مبلغها هو خاتم الأنبياء والرسل أجمعين، محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢)** ﴾ [ البقرة : ١٣٠-١٣٢ ] .

## الدروس المستفادة:

[ ١ ] أن رسول الله ﷺ لم يكن بدعاً من الرسل، بل هو واحد منهم، وهو خاتمهم.

[ ٢ ] أن دعوة رسول الله ﷺ تتمم وتؤكد الدعوات السماوية السابقة.

[ ٣ ] لا توجد عقائد سماوية متعددة، ولكن توجد شرائع سماوية متعددة، نسخ اللاحق منها السابق. وأن الدين عند الله هو الإسلام.

[ ٤ ] أن جميع الأنبياء والرسل جاءوا بعقيدة الإسلام.

## أمـــر القيام بالدعـــوة إلى الله ســـراً

عرض رسول الله ﷺ الإسلام أولاً على آل بيته، وأصدقائه، وأصدق الناس به. وكان أول من سطع عليه نور الإسلام خديجة بنت خويلد، زوجته؛ وعليّ بن أبي طالب، ابن عمه، وكان مقيماً عنده يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره [١].

كما أسلم أيضاً زيد بن حارثة ابن شرحبيل الكلبي، مولى رسول الله ﷺ [٢]. كما أسلمت أم أيمن، حاضنة رسول الله ﷺ، والتي زوجها لمولاه زيد ابن حارثة.

(١) حدث أن أصابت قريشاً مجاعة، وكان أبو طالب مقلاً كثير الأولاد فقال عليه الصلاة والسلام لعمه العباس: ان أخاك أبا طالب كثير العيال، فانطلق بنا إليه لنخفف من عياله، تأخذ واحداً وأنا واحداً، فانطلقا وعرضا على أبي طالب الأمر فأخذ العباس جعفر وأخذ رسول الله ﷺ علياً.

(٢) زيد بن حارثة رضي الله عنه كان يقال له زيد ابن محمد. لأن رسول الله ﷺ اشتراه، ثم اعتقه وتبناه. وكان الابن المتبنى قبل الإسلام، يعتبر كابن حقيقي يرث ويورث.

## إسلام أبو بكـــر الصديق رضي الله عنه
## وأثـــره في الدعوة

كان أول من أجاب رسول الله ﷺ من غير أهل بيته، أبو بكر بن أبي قحافة بن عامر ابن عمر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التميمي القرشي ، وكان صديقاً لرسول الله ﷺ قبل النبوة، يعلم ما اتصف به من مكارم الأخلاق، ولم يعهد عليه كذباً منذ اصطحبا. فأول ما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق، وقال بأبي أنت وأمي ، أنت أهل الصدق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه صدراً معظماً في قريش، على سعة من المال وكرم الأخلاق،وكان من أعف الناس، سخياً يبذل المال،محبباً في قومه،حسن المجالسة، ولذلك كله كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من رسول الله ﷺ بمنزلة الوزير، فكان يستشيره في أموره كلها، وقال رسول الله ﷺ في حقه: "**ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة** ـ أي توقف وتردد ـ **غير أبي بكر**". وكان رسول الله ﷺ لايدعو إلا من يثق به. ودعا أبو بكر رضي الله عنه، من يثق به من رجال قريش إلى الإسلام، فأجابه جمع منهم .

✿ عثمان بن عفان [1] بن أبي العاص بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي ، الذي يلقب بذي النورين، لتزوُّجه بابنتي رسول الله ﷺ ؛ رقية ثم أُم كلثوم رضي الله عنهما.

✿ الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي ، وهو حواريّ رسول الله ﷺ وأمه صفيه بنت عبد المطلب.

---

(١) ولد عثمان بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح، فيكون سنه حين بعث رسول الله ﷺ اربعاً وثلاثين سنة. أى أنه كان كهلاً يناهز الثلاثين من عمره، كما قيل فى الإصابة.

✿ عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشي، ذو الهجرتين.

✿ سعد بن أبي وقاص، خال رسول الله ﷺ، إذ جد سعد، أُهيب، عم آمنة بنت وهب أم النَّبي ﷺ، وكان مُستجاب الدعوة.

✿ وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي.

فهؤلاء النفر الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، يضاف إليهم عليّ بن أبي طالب،وزيد بن حارثة،وأبو بكر الصديق هم أهل السبق في الإسلام فرضي الله عنهم جميعاً.

## أفواج السابقين إلى الإسلام

ما إن أسلم أولئك النفر الكرام، حتى تتابع أشراف قريش يدخلون في الإسلام. ومن أوائل المسلمين بلال بن رباح الحبشي، ثم أمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون وأخواه قدامه وعبد الله، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وسعيد بن زيد العلوي وامرأته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب، وخباب بن الأرت، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وخلق سواهم وهؤلاء السابقون الأولون من جميع بطون قريش وعدهم ابن هشام أربعين نفراً (١).

قال ابن إسحاق ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس.

أسلم هؤلاء السابقون سراً، وكان رسول الله ﷺ يجتمع بهم، ويرشدهم إلى الدين متخفياً، لأن الدعوة كانت لاتزال فردية وسرية، وكان الوحي قد تتابع، وحمى نزوله بعد نزول أوائل المدثر، وكانت الآيات وقطع السور، تنزل في هذا الزمان آيات قصيرة ذات فواصل رائعة، وإيقاعات هادئة خلابه، تتناسق مع ذلك الجو الهامس الرقيق، وتشتمل على تزكية النفوس، وتقبيح تلويثها برغائم الدنيا، وتصف الجنة والنار كأنهما رأى العين، وتسير بالمؤمنين في جو آخر غير الذي فيه المجتمع البشري آنذاك.

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٤٥، ٢٦٢.

## ابتداء فـــرض الصـــلاة

وكان الأمر بالصلاة في أوائل ما نزل ، قال مقاتل بن سليمان : فرض الله في أول الإسلام، الصلاة ركعتين بالغداء، وركعتين بالعشى. لقوله تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ [ غافر : ٥٥ ] .

**وقال ابن حجر. رحمه الله. :**

كان رسول الله ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعاً، وكذلك كان أصحابه. ولكن اختلف هل فرض شيء قبل الصلوات الخمس؟ وقيل أن الفرض كانت صلاة، قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

وروى الحارث بن أسامة من طريق ابن لهيعة موصولاً عن زيد بن حارثة: أن رسول الله ﷺ ، أول ما أوحى إليه، أتاه جبريل، فعلمه الوضوء، فلما فرغ من الوضوء، أخذ غرفة من ماء، فنضح بها فرجه. وقد روى ابن ماجة بمعناه. ورُوِيَ نحوه عن البراء بن عازب وابن عباس. وفي حديث ابن عباس: وكان ذلك من أول الفريضة (١) .

وقد ذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا إذا حضرت الصلاة، ذهبوا في الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم عن قومهم. وقد رأى أبو طالب رسولَ الله ﷺ وعلياً يصليان مرة ، فكلمهما في ذلك، ولما عرف جليه الأمر أمرهما بالثبات (٢) .

---

(١) مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدى ص ٨٨ .

(٢) ابن هشام ١ / ٢٤٧ .

**أهم أحداث العام الأول والثاني والثالث من البعثة :**

[ ١ ] نبوة رسول الله ﷺ وكان أول ما بدأ به الوحى، الرؤيا الصالحة الصادقة، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يتحنث في غار حراء الليالي ذوات العدد.

[ ٢ ] انقطاع الوحي ثم عودته بعد فترة، قيل أربعين يوماً، ليأنس رسول الله ﷺ بالوحي ويقوى على عنائه.

[ ٣ ] ختم الرسالات السماوية بالرسالة المحمدية، فمحمد ﷺ خاتم النبيين، ودعوته قائمة على أساس التأكيد والتتميم لدعوات الأنبياء السابقين.

[ ٤ ] إسلام أبو بكر الصديق وأثره في الدعوة، إذ أسلم على يديه نفر كثير منهم؛ عثمان بن عفان، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله.

[ ٥ ] ابتداء فرض الصلاة، ركعتين بالغداء، وركعتين بالعشى.

# الفصل الثاني

## الجهر بالدعوة داخل مكة: سبع سنين
## من العام الرابع إلى نهاية العام العاشر من البعثة

# الفصل الثاني

## الجهر بالدعوة داخل مكة: سبع سنين
## من العام الرابع إلى نهاية العام العاشر من البعثة

**العام الرابع:**

- الجهر بالدعوة، موقف قريش من الدعوة.
  - الوسيلة الأولى: السعي لأبي طالب.
  - الوسيلة الثانية: الترغيب والمساومة.
  - الوسيلة الثالثة: الاستهزاء والتشكيك "الحرب الكلامية".
  - الوسيلة الرابعة: طلب المعجزات.
  - الوسيلة الخامسة: الاضطهاد والتعذيب.

**العام الخامس:**

- إيماءات إلهية إلى الهجرة، الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة.

**العام السادس:**

- إسلام حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

**العام السابع إلى العام التاسع:**

- المقاطعة، قريش تصدر ميثاق الظلم والعدوان.
- أبو طالب يجمع بني هاشم وبني عبد المطلب، ثلاثة أعوام في الشِعْبِ.
- نقض الصحيفة الظالمة.

**العام العاشر:**

- وفاة أبو طالب وخديجة رضي الله عنهما.
- الخروج إلى الطائف.
- الإسراء والمعراج.

## العام الرابـــع من البعثـــة

### الجهر بالتبليغ:

استمر رسول الله ﷺ ، ثلاث سنوات، يدعو إلى الإسلام سراً، وأصحابه من حوله يدعون بدعوته، فاستجاب لهذه الدعوة، ودخل في هذا الدين ما يربو على الثلاثين، ممن أراد الله لهم الهداية. ثم نزل قول الله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) ﴾ [ الحجر : ٩٤ ] ، فبدل الدعوة سراً بالدعوة - جهراً ممتثلاً أمر الله وواثقاً بوعد الله ونصره.

### صيحة الصفا:

صعد رسول الله ﷺ على الصفا فجعل ينادى: ياصباحاه! [١] ياصباحاه! يابني فهر، يابني عدى، لبطون قريش فجعل الرجل إن لم يستطع الخروج أرسل رسولاً لينظر الخبر، فجاء أبو لهب، وجاءت قريش فقال عليه الصلاة والسلام: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى، تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقى؟ قالوا نعم، ماجربنا عليك كذباً. قال ﷺ : فإني نذير لكم، بين يدي عذاب شديد. يابني عبد المطلب، يابني عبد مناف، يابني زهرة، يا بني تيم، يابني مخزوم، يابني أسد، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله..، يا معشر قريش انقذوا أنفسكم من النار، إني لا أغني عنكم من الله شيئاً.. إن مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله أن يسبقوه إليهم، فجعل يهتف: يا صباحاه! يا صباحاه! أُتيتم، أُتيتم..! فقاطعه أبو لهب بقوله: "تباً

---

(١) ياصباحاه: جرياً على عادة العرب حين يتداعون لأمر عظيم، وحين يستصرخون لدفع خطب ملم.

لك، ألهذا جمعتنا" . فأنزل المولى عز وجل في شأنه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) ﴾ [ المسد ] (١) .

## إنذار الأقربين:

ثم أوحى المولى عز وجل إلى رسوله ﷺ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) ﴾ [ الشعراء : ٢١٤ - ٢١٦ ] . فجمعهم عليه الصلاة والسلام، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف، وقال لهم: "إن الرائد (٢) لايكذب أهله، والله لو كذبت على الناس جميعاً ماكذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ماغررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتنَ كما تنامون، ولتبعثنَّ كما تستيقظون، ولتحاسبنَّ بما تعملون، ولتجزونَّ بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وأنها لجنة أبداً أو النار أبداً" . فتكلم القوم كلاماً ليناً، غير عمه أبي لهب، الذي كان خصماً لدوداً، فإنه قال: خذوا على يديه (٣) ، قبل أن تجتمع عليه العرب، فإن أسلمتوه حينئذ ذللتم، وإن منعتموه قتلتم. فقال أبو طالب: والله، لنمنعنَّه مابقينا، ثم إنصرف الجمع.

## إقبال المستضعفين على الإسلام:

أخذ صوت الإسلام يرتفع في مكة، بعد أن ظل خافتاً نحو ثلاث سنين، وأخذ المسلمون يتحدثون به جهراً بعد أن كانوا يتهامسون به همساً، وأخذ الناس يتساءلون عن هذا النبأ العظيم الذي جاءهم به محمد، حتى صار الناس

(١) وحمل الحطب: المشى بالنميمة، لأنها كانت تقول على رسول الله ﷺ الأكاذيب فى نوادى النساء. قال الجلال المحلى فى تفسيره: الحطب (الشوك السعدان) نوع من الشوك كانت تلقيه فى طريق النبى ﷺ .

(٢) الرائد: هو الطليعة الذى يستطلع للقوم فيم يهمهم، كالذى يرسل فى طلب الكلا.

(٣) خذوا على يديه: أى إمنعوه مما يريد.

يتحدثون به في مجالسهم الخاصة والعامة، في بيوتهم وأنديتهم، في أوقات جدهم ولهوهم، وشغلهم وفراغهم، وسفرهم وإقامتهم. وأخذ المستضعفون من العبيد والإماء، ومن المساكين والفقراء، ومن الأتباع والموالي يستمعون إلى أنباء هذه الدعوة، فيتدافعون إلى الإسلام إقبال الظِّماء على زلال الماء.

## موقف قريش من الدعوة:

انفجرت مكة بمشاعر الغضب،وماجت بالغرابة والإستنكار حين سمعت صوتاً يجهر بتضليل المشركين وعبادة الأصنام،كأنه صاعقة،قصفت بالسحاب فرعدت، وبرقت،وزلزت الجو الهادىء.فقامت قريش تستعد لحسم هذه الثورة التي اندلعت بغته،ويخشى أن تأتي على تقليدها وموروثاتها.ولكن ماذا سيفعلون أمام رجل صادق أمين، أعلى مثل للقيم البشرية ولمكارم الأخلاق، لم يعرفوا له نظيراً ولا مثيلاً في تاريخ آبائهم وأقوامهم،ماذا سيفعلون؟ ، تحيروا في ذلك وحق لهم أن يتحيروا،وبعد إدارة فكرهم، رأت قريش أن تحاول بكافة الوسائل منع محمد ﷺ من تبليغ رسالة ربه، فلجأت إلى عمه فكلمته ثم هددته، وذهبت إلى رسول الله ﷺ ورغبته وساومته ثم سخرت منه واضطرت إلى تعذيبه ومن اتبعه، ولو أنها حكمت عقلها لآمنت به وتبعته.

## الوسيلة الأولى: السعي لأبي طالب :

## قريش تكلم أبا طالب "المرة الأولى":

ذهب وفد قريش إلى أبي طالب، عم رسول الله ﷺ ، فطلبوا منه أن يكف ابن أخيه، عما هو فيه، ورأوا، لإلباس طلبهم لباس الجد والحقيقة، أن يقولوا: إن الدعوة إلى ترك آلهتهم، والقول بعدم نفعها وقدرتها، سبة قبيحة وإهانة شديدة لها، وفيه تسفيه وتضليل لآبائهم، الذين كانوا على هذا الدين. ولكن أبو طالب رد عليهم رداً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يُظهر دين الله ويدعو إليه.

### قريش تكلم أبا طالب "المرة الثانية":

ولما لم يكف رسول الله ﷺ عن الدعوة جهراً مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، وقالوا له: أن لك سناً وشرفاً ومنزلةً منا، وإنا قد طلبنا منك أن تنهي ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لانصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه عقولنا، وعيب آلهتنا، فإما أن تكفه، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، فقال لهم أبو طالب قولاً جميلاً،فانصرفوا،وعظم على أبي طالب فراق قومه، ولم يطب نفساً بخذلان ابن أخيه، فقال له: ياابن أخي أن القوم جاؤوني فقالوا لي كذا، فإلق على نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أن عمه خاذله فقال: «**والله ياعم، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يسارى، على أن أترك هذا الأمر، مافعلت حتى يظهره الله، أو أهلك دونه، ثم بكى وولى**». فقال أبو طالب: أقبل يا ابن أخى، فأقبل عليه. فقال: اذهب فقل ما أحببت، والله لا أسلمك.

### قريش تكلم أبا طالب "المرة الثالثة":

ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ ماض في عمله، وعرفت أن أبا طالب قد أبي خذلان ابن أخيه، وأنه مجمع لفراقهم وعداوتهم في ذلك، ذهبوا إليه بعمارة ابن الوليد بن المغيرة وقالوا له: يا أبا طالب أن هذا الفتى أنهض فتى في قريش، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي يخالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل، فقال: والله بئس ماتسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً. فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً.

فقال: والله ما نصفتموني ولكنك قد أجمعت خذلاني، ومظاهرة القوم، فاصنع مابدا لك [١].

**الوسيلة الثانية: الترغيب والمساومة:**

قريش تعرض عروضاً مغرية على رسول الله ﷺ:

رأت قريش أن تجرب أسلوباً آخر مع رسول الله ﷺ، فأرسلت عتبة بن ربيعة - وهو رجل رزين هادئ - إلى رسول الله ﷺ فقال له: ياابن أخي، إنك منا حيث علمت من المكان في النسب، وقد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها؛ إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً [٢] تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا في ذلك أموالنا حتى تبرأ. فلما فرغ من قوله، تلا عليه رسول الله ﷺ، صدر سورة فصلت: ﴿ **حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤)** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣)** ﴾.

[فصلت: ١ - ١٣].

وما إن استمع عتبة إلى آيات القرآن، حتى توقظ ماكان نائماً من فكره، فأمسك بفم رسول الله ﷺ وناشده الرحم أن يكف عن ذلك، ثم وضع يده على جنبه، وقام يهرول كأن الصواعق ستلاحقه، وعاد إلى قريش يقترح عليها أن تدع محمداً وشأنه.

---

(١) ابن هشام ١ / ٢٦٦ / ٢٦٧.

(٢) رئيا: التابع من الجن، في اعتقادهم.

**قريش تساوم رسول الله ﷺ ليلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق:**

حاولت قريش مساومة رسول الله ﷺ على أن يلتقى الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق،وذلك بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه،ويترك رسول الله ﷺ بعض ماهو عليه. فهناك رواية رواها ابن جرير والطبراني تفيد أن المشركين عرضوا على رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم عاماً، ويعبدون ربه عاماً. ورواية أخرى لعبد بن حميد تفيد أنهم قالوا: لو قبلت آلهتنا نعبد إلهك (١) .

**روى ابن اسحاق بسنده قال:** اعترض رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة ـ الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل السهي ـ وكانوا ذوي أسنان في قومهم ـ فقالوا يامحمد هلم فلنعبد ماتعبد، وتعبد مانعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان مانعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه. فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⑥** ﴾ [ الكافرون ] (٢) . وحسم الله مفاوضاتهم المضحكة بهذه المفاضلة الجازمة.

**قريش تطلب من رسول الله ﷺ تغيير القرآن:**

ثم إن قريش طلبت من رسول الله أن ينزع من القرآن ما يغيظهم، من ذم الأوثان والوعيد الشديد ، فيأتي بقرآن غيره أو يبدله. فنزل قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾ [ يونس: ١٥ ] .

---

(١) تفهيم القرآن ٦ / ٥٠١ ، ٥٠٢ .

(٢) ابن هشام ١ / ٣٦٢ .

## الوسيلة الثالثة: الاستهزاء والتشكيك الحرب الكلامية"

### السخرية والإستهزاء والتشكيك في نبوته ﷺ :

لما فشلت قريش في محوالتها الأخيرة، لجت في الخصومة وأعلنت حرباً كلامية على رسول الله ﷺ. فرموا رسول الله ﷺ بتهم هازلة وشتائم سفيهة فقالوا مجنون وساحر وكذاب. فيذكر أن أبا جهل قال يوماً: يامعشر قريش، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر عدداً وكثرة، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم؟ وفي هذا نزل قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ [ المدثر : ٣١ ] .

ويكشف أبو جهل عن وجه حسده وكبريائه، فيأتيه الأخنس بن شريق فيقول له: ياأبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ ، فقال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا (١) على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه.

فقد كان رجال من قريش يَنْفسُنها على بني عبد مناف، عشيرة رسول الله ﷺ، ويذكر أن الوليد بن المغيرة قال: أينزَّل على محمد، وأترك أنا ـ كبير قريش وسيدها ـ ويترك أبو مسعود عمرو بن عُمَيْر سيد ثقيف، ونحن عظيما القريتين. وقد حكى المولى عز وجل قولهم هذا، قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴿٣١﴾ ﴾ [ الزخرف: ٣١ ] ، كما حكى عنهم القرآن الكريم قولهم: ﴿ **وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً** ﴿٧﴾ **أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً** ﴿٨﴾ ﴾ [ الفرقان :٧ ـ ٨ ] .

---

(١) تجاثينا: أى تحاذينا.

**التشكيك فيما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن:**

أخذ المشركون يُشككون فيما أُنزل على رسول الله ﷺ من القرآن، ويقولون أنه ليس من عند الله، إنما يستمليه محمد ﷺ ممن يجالسهم من أهل الكتاب، واتخذوا من جلوس رسول الله ﷺ إلى بعض نصارى الروم شاهداً على صحة ما يدَّعون. فرد عليهم المولى عز وجل بما أفحمهم وأخزاهم قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾** ﴾ [ الفرقان : ٥ ] .

وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾** ﴾ [ النحل : ١٠٣ ] .ذكر أن النضر بن الحارث قال مرة لقريش: يامعشر قريش، والله لقد نزل بكم أمر ما أوتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم:ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم.وقلتم كاهن، لا والله ماهو بكاهن،قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم.وقلتم شاعر، لا والله ماهو بشاعر، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ودجزه. وقلتم مجنون، لا والله ماهو بمجنون،لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه،ولا وسوسته، ولا تخليطه. يامعشر قريش:فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم. ثم ذهب النضر بن الحارث إلى الحيرة، وتعلم أحاديث ملوك الفرس بها، وأحاديث رستم وأسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً للتذكير بالله، والتحذير من نقمته، خلفه النضر، وأخذ يقول والله ما محمد بأحسن حديثاً منى، ثم يحدثهم عن ملوك فارس وأسفنديار، ويقول كما حكى القرآن: ﴿ **سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ** ﴾ [ الأنعام : ٩٣ ] .

وتفيد رواية ابن عباس، أن النضر كان قد اشترى قنيات، فكان لايسمع برجل مال إلى رسول الله ﷺ إلا سلط عليه واحدة منها، تطعمه وتسقيه وتغني له، حتى لايبقى له ميل إلى الإسلام،وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦)** ﴾ [ لقمان : ٦ ] (١) .

## الوسيلة الرابعة : طلب المعجزات :

طلب الكافرون من رسول الله ﷺ ، أن يدعو ربه ليحيي لهم من مات من آبائهم، وأن يزيل عنهم الجبال المحيطة بمكة، وأن يفجر خلالها الأنهار لتصبح حدائق من نخيل وأعناب. قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا (٩٣)** ﴾ [الإسراء: ٩٣ ـ ٩٣].

روى البخاري عن قتادة عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حِرَاءَ بينهما. ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣)** ﴾ [ القمر : ١ – ٣ ] .

## الوسيلة الخامسة : الاضطهاد والتعذيب

وأخيراً لما رأى الكافرون أن هذه الأساليب لم تجد مع رسول الله ﷺ ومن أسلم، إجتمعوا مرة أخرى، وكونوا لجنة من خمسة وعشرين رجلاً من سادات قريش تزعمها أبو لهب، عم رسول الله ﷺ ، قرروا بعدها أن لايألوا جهداً في محاربة الإسلام، وإيذاء رسوله ﷺ، وتعذيب الداخلين فيه، والتعرض لهم بألوان من النكال والإيلام (٢) .

---

(١) تفهيم القرآن ٤٠ / ٩ .

(٢) رحمة للعالمين ١ / ٥٩، ٦٠ .

## أولاً: بعض ما تعرض له الحبيب المصطفى ﷺ:

رأى رسول الله ﷺ من المشركين كثير الأذى وعظيم الشدة، خصوصاً إذا ذهب إلى الصلاة عند البيت، وكان من أشدهم أذى لرسول الله ﷺ جماعة سموا لكثرة أذاهم بالمستهزئين منهم:

### [١] أبو جهل، عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي:

❁روى ابن اسحاق في حديث طويل أن أبا جهل قال يوماً: يا معشر قريش أن محمداً قد أبى إلا ماترون من عيب ديننا، وسب آلهتنا، وشتم أباءنا، وتسفيه أحلامنا، وأني أعاهد الله، لأجلسنَّ له بحجر، ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته، فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك، وأمنعوني، وليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف مابدا لهم. قالوا: والله لانسلمك لشيء أبداً، فأمض لما تريد. فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، فقام يصلي، وغدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ، احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحو رسول الله ﷺ حتى إذا دنا منه رجع منهزماً، منتقعاً لونه، مرعوباً، قد يبست يداه على الحجر، حتى قذف بالحجر من يده. فقام إليه رجال قريش، فقالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ ، قال: قمت إليه لأفعل به، ماقلت لكم البارحة، فلما دنوت منه، عرض لي دونه فحل من الأبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته، ولا أنيابه فحل قط، فهمَّ بي أن يأكلني [١].

❁ كما أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل نعم! فقال: واللات والعزى، لئن رأيته لأطأنَّ عليّ رقبته ولأعفرنَّ وجهه، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ رقبته، فما جاءهم إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه فقالوا: مالك يا أبا الحكم؟

---

(١) ابن هشام ١ / ٢٩٨، ٢٩٩.

قال: أن بيني وبينه لخندقاً من نار وهؤلاء أجنحة. فقال رسول الله ﷺ : **لو دنا منِّي لاختطفته الملائكة عضواً عضواً** (١) .

✿ وكان أبو جهل إذا سمع أن رجلاً له شرف ومنعه،قد أسلم أنبه وأخزاه وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال والجاه،وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به(٢).

✿وكان أبو جهل كثيراً ما ينهى رسول الله ﷺ عن صلاته في البيت، فقال له مرة بعد أن رآه يصلي: ألم أنهك عن هذا؟، فأغلظ له رسول الله ﷺ القول وهدده، فقال أبو جهل: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً. فأنزل المولى عز وجل: ﴿ **كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (١٩)** ﴾ [ العلق : ١٥- ١٩ ] .

✿ روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجئ بسلا جزور (٢) من بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم، عقبة بن أبي معيط (٣) ، فجاء به، فنظر حتى سجد رسول الله ﷺ ، ووضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر، لا أغني شيئاً، لو كانت لي منعة لمنعتة. قال: فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعض (٤) ، ورسول الله ﷺ ساجد لايرفع رأسه حتى جاءته فاطمة (٥) ، فطرحته على ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: "اللهم عليك بقريش ثلاث مرات" . فشق ذلك عليهم إذا دعا عليهم، وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى رسول الله ﷺ : اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط ـ وعد السابع فلم يحفظه ـ فوالذي نفسي

(١) رواه مسلم فى صحيحه.
(٢) ابن هشام ١ / ٣٢٠ .
(٣) سلا الجزور: ما يخرج من بطن الناقة.
(٤) صرح بذلك فى صحيح البخارى نفسه ١ / ٥٤٣ .
(٥) يحيل بعضهم على بعض: أى يتمايل بعضهم على بعض فرحاً وطرباً.

بيده لقد رأيت الذي عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب، قليب بدر [١] .

**[ ٢ ] أبو لهب بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ ، وجاره :**

✿ حدث أن زوج أبو لهب، قبل البعثة، ولديه عتبة وعتيبة، ببنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم. فلما كانت البعثة، أمرهما أبو لهب بتطليقهما، بعنف وشدة، حتى طلقاهما [٢] .

✿ ولما مات عبد الله، الابن الثاني لرسول الله ﷺ ، استبشر أبو لهب، وهرول إلى رفقائه يبشرهم بأن محمداً صار أبتر [٣] .

✿ وكان أبو لهب، في موسم الحج والأسواق، يجول خلف رسول الله ﷺ لتكذيبه. وقد روى طارق بن عبد الله المحاربى، مايفيد أنه كان لايقتصر على التكذيب بل كان يضربه بالحجر حتى يدمي عقباه [٤] .

✿ وكانت امرأة أبي لهب، أم جميل، أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان، لا تقل عن زوجها، في عداوة رسول الله ﷺ ، فقد كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق رسول الله ﷺ وعلى بابه ليلاً، وكانت امرأة سليطة تبسط في لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حرباً شعواء على رسول الله ﷺ ، ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب [٥] . ولما سمعت مانزل فيها وفي زوجها، من القرآن، أتت رسول الله ﷺ ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر، وفي يدها فهر [٦] من حجارة، فلما وقفت عليهما، أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ ، فلم تر إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجونى، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله

---

(١) فاطمة وكانت جويرية صغيرة فى ذلك الوقت.
(٢) صحيح البخارى، كتاب الوضوء، باب إذا ألقى على المصلى قذراً أو جيفاً ١ه/ ٣٧ .
(٣) فى ظلال القرآن ٣٠ / ٢٨٢ تفهيم القرآن ٦ / ٥٢٢.
(٤) تفهيم القرآن٦ / ٤٩٠ .
(٥) حمالة الحطب: أى تمشى بالنميمة.
(٦) فهر: حجر على مقدار ملء الكف.

أني لشاعرة، ثم قالت: مذمما [١] عصينا ... وأمره أبينا ... ودينه قلينا [٢] ، ثم إنصرفت. فقال أبو بكر: يارسول الله أما تراها رأتك؟، فقال رسول الله ﷺ : ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني [٣] .

✿ ومن تلك الضراوة أن عتيبة بن أبي لهب، أتى يوماً إلى رسول الله ﷺ ، فقال: أنا أكفر بـ ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ** ﴾ [ النجم: ١ ] ، وبالذي ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ** ﴾ [ النجم : ٨ ] ، ثم تسلط على رسول الله ﷺ بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه، إلا أن البزاق لم يقع عليه ﷺ ، وحينئذ دعا رسول الله ﷺ وقال: "اللهم سلط عليه كلباً من كلابك" .وقد إستجيب دعاؤه ﷺ . فقد خرج عتيبة مرة في نفر من قريش، حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء، فطاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: ياويل أخى، هو والله أكلى، كما دعا محمد علىَّ، قتلني وهو بمكة وأنا بالشام، فغدا عليه الأسد من بين القوم، وأخذ برأسه فذبحه [٤] .

**[ ٣ ] عقبة بن أبي معيط، الجار الثاني لرسول الله ﷺ :**

✿ أخرج البخاري عن عروة قال: سألت ابن العاص فقلت: أخبرني بأشد شئ صنعه المشركون برسول الله ﷺ ؟ قال بينما النَّبي ﷺ يصلي في الحجر، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه على عنقه، وخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النَّبي ﷺ وقال : ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ** ﴾ [ غافر : ٢٨ ] . وذكر أن عقبة بن معيط وطىء على رقبته الشريفة، وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان [٥] .

---

(١) مذمماً: تعنى محمداً ﷺ ، وكان هذا صرفاً من الله تعالى عن اسم نبيه.

(٢) قلينا: أى تركنا مبغضين له.

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٣٣٥، ٣٣٦ .

(٤) ابن هشام ص ١١٣ الجزء الأول.

(٥) تفهيم القرآن ٦ / ٥٢٢ .

✿ قال ابن اسحاق: كان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته ﷺ؛ أبو لهب، والحكم بن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي وابن الأصداء الهذلي - وكانوا جيرانه - ولم يُسلم منهم إلا الحكم بن أبي العاص، أبو الخليفة الأموي مروان بن الحكم. فكان أحدهم يطرح على رسول الله ﷺ رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً ليستتر به منهم إذا صلى، فكان رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى، يخرج به على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول: يابني عبد مناف أي جوار هذا؟ ثم يلقيه بعيداً (١).

**[ ٤ ] أمية بن خلف الجُمحي القرشي:**

✿ كان إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ** ﴾ [ الهمزة: ١ ]، قال: ابن هشام الهُمزة الذي يشتم الرجل علانية، ويكسر عينيه، ويغمز به، واللُمزة الذي يعيب الناس سراً ويؤذيهم (٢).

✿ وحدث أن صنع عقبة بن معيط طعاماً، ودعا إليه رسول الله ﷺ، فقال: " لا أحضره حتى تشهد أن لا إله إلا الله "، ففعل، فأتاه رسول الله ﷺ. فقال أُمية بن خلف لعقبة: أقلت كذا وكذا. فقال: إنما قلت ذلك لطعامنا، فنزل قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩)** ﴾ [ الفرقان: ٢٧-٢٩ ].

**ثانياً: بعض ما تعرض له المسلمين المستضعفين:**

✿ كان بلال رضي الله عنه، مولى أُمية بن خلف الجمحي، فكان أُميه يضع في عنقه حبلاً، ثم يسلمه إلى الصبيان، يطوفون به في جبال مكة حتى كان يظهر أثر

---

(١) ابن هشام ١ / ٤١٦.

(٢) ابن هشام ١ / ٣٥٦، ٣٥٧.

الحبل في عنقه. وكان أُمية يشده، ثم يضربه بالعصا، وكان يلجؤه إلى الجلوس في حر الشمس، كما كان يكرهه على الجوع، وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجه، إذا حميت الظهيرة، فيطرحه في بطحاء مكة، ثم يأمر بصخرة عظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول والله لاتزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى. فيرد بلال، وهو في ذلك، أحدٌ، أحدٌ، حتى مرَّ به أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهم يصنعون ذلك به، فاشتراه بغلام أسود، وقيل بسبع أواق أو بخمسين أوقية من الفضة، وأعتقه.

❁ وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه، مولى لبني مخزوم، أسلم هو وأبوه وأمه. فكان المشركون وعلى رأسهم أبو جهل ـ يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الروضاء فيعذبونهم بحرها، ومر بهم رسول الله ﷺ وهم يعذبون فقال: "صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة". فمات ياسر في العذاب، وأغلظت امرأته "سمية" ـ أم عمار ـ القول لأبي جهل، فطعنها في قلبها بحربة، فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام، وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة، وبوضع الصخر الأحمر على صدره تارة أخرى، وبالتغريق تارة أخرى، وقالوا لا نتركك حتى تسب محمداً أو تقول في اللات والعزى خيراً. فوافقهم على ذلك مكرهاً، وجاء باكياً معتذراً إلى رسول الله ﷺ، فنزل قول الله تعالى: ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ** ﴾ [ النحل : ١٠٦ ] (١).

❁ وكان أبو فكيهة، واسمه أفلح، مولى لبني عبد الدار. فأخذه أُمية بن خلف وربط في رجليه حبلاً، وأمر به فجُرَّ، ثم ألقاه في الرمضاء. وظل الكفار يعذبونه حتى أُغميَ عليه، فظنوه مات، ثم أفاق، فاشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه (٢).

---

(١) ابن هشام ١ / ٣١٩- ٣٢٠؛ فقه السيرة لمحمد الغزالي ص ٨٢؛ مختصر السيرة للشيخ عبد الله النجدي ص ٩٢.

(٢) رحمة للعالمين ١ / ٥٧ من إعجاز التنزيل ص ٥٣.

✿ وكان خباب بن الأرت، مولى لأم أغار بنت سباع الخزاعية، فكان المشركون يذيقونه أنواعاً من التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذباً، ويلوون عنقه تلويه عنيفة، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجراً حتى لايستطيع أن يقوم [١] . وجاء خباب مرة إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، فقال يارسول الله ألا تدعو الله لنا؟ ، فقعد عليه الصلاة والسلام، محمراً وجهه، وقال: أنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ويوضع المنشار فوق رأس أحدهم فيشق، مايصرفه ذلك عن دينه، وليظهرنَّ الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون. ثم أنزل المولى عز وجل تثبيتاً للمؤمنين: ﴿ **الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)** ﴾ [ العنكبوت : ١- ٣ ] .

✿ وكذلك كان نصيب النساء من العذاب من قبل مواليهن. فكانت زنيرة والنهدية وابنتها وأم عبيس إماء، أسلمنَّ وكان المشركون يسومونهنَّ من العذاب أمثال ماذكرنا. ولقد اشترى أبو بكر رضي الله عنه هذه الجوارى، فأعتقهنَّ، كما أعتق بلالاً وعامر بن فهيرة. وهكذا فإن قائمة المعذبين في الله طويلة، فما من أحد، علمت قريش بإسلامه، إلا وتصدت له وعذبته.

وكان المسلمون تلقاء هذه الإضطهادات لايجتمعون إلا سراً،خشية أن يحول المشركون بينهم وبين رسول الله ﷺ وما يريد، من تزكيه المسلمين وتعليمهم الكتاب والحكمة .وربما يقضي ذلك إلى مصادمة بين الفريقين. وقد حدث ذلك فعلاً في السنة الرابعة من البعثة،وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يجتمعون في الشعاب فيصلون فيها سراً، فرآهم نفر من كفار قريش فسبوهم وقاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً فسال دمه وكان هذا أول دم أريق في الإسلام[٢] .

(١) رحمة للعالمين ١ / ٥٧ تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٦٠ .

(٢) ابن هشام ١ / ٢٦٣ مختصر سيرة الرسول لمحمد بن عبد الوهاب ص ٦٠ .

**ثالثاً: بعض ما تعرض له عِلْيَـــةُ القوم من المسلمين :**

✿ كان عثمان بن عفان، من علية القوم، ولما علم عمه، الحكم، بإسلامه أوثقه بحبل من مسد وجعل يضربه ضرباً مبرحاً. وقال: أترغب عن دين آبائك إلى دين مستحدث، والله لا أحلك حتى تدع ما أنت عليه، فقال عثمان رضي الله عنه: والله لا أدعه ولا أفارقه، فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه.

✿ وكان الزبير بن العوام، يُلَف ويُعلق في حصير من أورتاق النخيل، ويدخِّن عليه بالنار، ويترك ليستنشق الدخان، ويقول له عمه: ارجع إلى الكفر. فيقول الزبير: لا أكفر أبداً (١).

✿ ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلام ابنها مصعب، أجاعته وأخرجته من بيته، وكان مصعب من أنعم الناس عيشاً، فتخشف جلده تخشف الحية (٢).

## الدروس المستفادة:

[١] بيان فضل أبي بكر الصديق وشرف هؤلاء الأنفار الثمانية لسبقهم في الإسلام، إذ أثنى المولى عز وجل عليهم. قال تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾. [التوبة: ١٠٠].

[٢] تقرير وتأكيد معنى قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ** ﴿٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢].

[٣] بيان ماكان عليه المشركون من شدة وغلظة وحنق على المسلمين.

[٤] بيان ما نال رسول الله ﷺ من أذى المشركين، وكيف قابله رسول الله ﷺ بالصبر حتى نصره المولى عز وجل، فأعزه وأعز دينه، وهزم المشركين وأذلهم.

---

(١) رحمة للعالمين ١ / ٥٧.

(٢) رحمة للعالمين ١ / ٥٨، تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٦٠.

[ ٥ ] صدق وعد الله لرسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** (٩٥) ﴾ [ الحجر : ٩٥ ] ، فقد كفاه المولى عز وجل إياهم بأن أهلكهم في فترة وجيزة، وفي حياته ﷺ .

[ ٦ ] بيان ما لاقاه المؤمنون المستضعفون وغيرهم من ألوان العذاب، فلم يذيدهم ذلك إلا إيماناً وتسليماً.

[ ٧ ] بيان أول شهيدة في الإسلام، سمية "أم عمار" ، فرضى الله عنها وأرضاها.

[ ٨ ] ضرورة أن يصبر المسلمون ويتصبروا إذاء مختلف ألوان المحن ، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (٢٠٠) ﴾ [ آل عمران : ٢٠٠ ] .

[ ٩ ] تقرير سنة الله في خلقه. أن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل.

[ ١٠ ] تقرير أن الاستهزاء بالله أو بآياته أو برسوله، كفر موجب للخلود في النار. وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ** (٦٥) **لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ .

[ التوبة : ٦٥-٦٦ ] .

**أهم أحداث العام الرابع من البعثة:**

[ ١ ] الجهر بالدعوة.

[ ٢ ] محاولات قريش العديدة لاحباط الدعوة الإسلامية بكافة الوسائل.

- الوسيلة الأولى: السعي لأبي طالب بعروض مختلفة عدة مرات.
- الوسيلة الثانية: محاولة مساومة رسول الله ﷺ للتخلي عن دعوته.
- الوسيلة الثالثة: الحرب الكلامية، تارة بالتشكيك في نبوته ﷺ، وتارة بالاستهزاء والتشكيك فيما أنزل عليه من القرآن.
- الوسيلة الرابعة: طلب المعجزات.
- الوسيلة الخامسة: الاضطهاد والتعذيب.

[ ٣ ] فشل قريش في محاولاتها كلها لإجهاض الدعوة الإسلامية.

## العام الخامس من البعثة

### إيماءات إلهية إلى الهجرة:

اشتدت وتفاقمت الاضطهادات في العام الخامس من النبوة، حتى نبا بالمسلمين المقام في مكة، وأخذوا يفكرون في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم، في هذه الأوقات الحالكة، نزلت سورة الكهف مشتملة على عدة قصص بها إشارات بليغة للمؤمنين. فقصة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان، عند مخافة الفتنة في الدين، قال تعالى: ﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا** ﴿١٦﴾ ﴾ [ الكهف : ١٦ ] .

وقصة موسى والخضر تفيد أن الظروف لا تجري حسب الظاهر دائماً. وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده. ثم نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة، وتعلن أن أرض الله ليست بضيقة، قال تعالى: ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ .

[ الزمر : ١٠ ] .

وكان رسول الله ﷺ قد علم أن أصحمة النجاشي، ملك الحبشة، ملك عادل، لا يُظلم عنده أحد، فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة، فراراً بدينهم من الفتن.

### الهجرة الأولى إلى الحبشة:

أشار رسول الله ﷺ على الناس للخروج من ديارهم وأموالهم فراراً بدينهم، فقال لهم: "لوخرجتم إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملكاً لا يُظلم أحد عنده، حتى

يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه" . وهذه هى أول هجرة من مكة، وعدد أصحابها عشرة رجال وخمس نسوة وهم: عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو سلمة وزوجه أم سلمه وأخوه لأمه أبو سبرة بن أبي رهم وزوجه أم كلثوم، وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى، وأبو حذيفة بن عنبسة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهيل، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن مظعون، ومصعب بن عمير، وسهيل بن بيضاء، والزبير بن العوام، فساروا على بركة الله ولما إنتهوا إلى البحر استأجروا سفينة أوصلتهم إلى مقصدهم فأقاموا آمنين من الأذى، الذي كان يلحق بهم من المشركين، ولم يبق مع رسول الله ﷺ إلا القليل.

## سورة النجم وسجود المشركين:

وفي رمضان من نفس السنة، خرج رسول الله ﷺ إلى الحرم، وهناك جمع كبير من قريش، كان فيه ساداتها وكبراؤها، فقام فيهم، وأخذ يتلو سورة النجم بغتة، ولأن أولئك الكفار لم يكونوا سمعوا كلام الله قبل ذلك، لأن أسلوبهم المتواصل كان العمل بما تواصى به بعضهم بعضاً، كما حكى ذلك القرآن الكريم : ﴿ **لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** (٢٦) ﴾ [ فصلت : ٢٦ ] ، فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة وقرع آذانهم كلام الله، الذي لا يحيط بروعته وجلاله بيان، بقى كل واحد مصغياً إليه، لايخطر بباله شيء سواه، وخواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب، ثم قرأ: ﴿ **فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا** (٦٢) ﴾ [ النجم: ٦٢ ] ، فسجد رسول الله ﷺ ، ولم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجداً، وفي الحقيقة كانت روعة الحق، قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهذئين فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين (١) .

وقد توالى عليهم اللوم والعتاب من كل جانب، ممن لم يحضر هذا المشهد من

---

(١) روى البخارى قصة السجود مختصراً عن ابن مسعود وابن عباس انظر باب سجدة النجم وباب سجود المسلمين والمشركين ١ / ١٤٦ وباب مالقى النبى ﷺ واصحابه من المشركين بمكة ١ / ٥٤٣ .

المشركين، وعند ذلك كذبوا على رسول الله ﷺ ، وافتروا عليه: "أنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير، وأنه قال عنهم تلك الغرانيق [١] العلى، وإن شفاعتهن لترجى". فجاء المشركون بهذا الإفك المبين، ليعتذروا عن سجودهم مع رسول الله ﷺ، ولايستغرب هذا من قوم، كانوا يؤلفون الكذب، ويطيلون الدس والإفتراء.

وترامت الأخبار إلى مهاجري الحبشة أن المشركين هادنوا الإسلام، وتركوا أهله أحراراً، وأن الإيذاء القديم قد انقطع، فلا بأس عليهم إن عادوا. فرجعوا إلى مكة، في شوال من نفس السنة، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار، عرفوا جلية الأمر، فرجع منهم من رجع إلى الحبشة،ولم يدخل أحد منهم مكة إلا مستخفياً، أو في جوار رجل من قريش، فدخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة.

## عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد بن المغيرة:

لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان الوليد بن المغيرة، قال: إن غُدوِّي ورَواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يَلْقَون من البلاء والأذى في الله ما لا يُصيبني، لنقص كبير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شَمْس، وَفَتْ ذِمَّتُكَ، قد رددتُ إليك جوارك. فقال له: لم، يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي. فقال عثمان بن مظعون له: لا، ولكني أرْضَى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره! قال فانْطَلِقْ إلى المسجد فارْدُدْ عليَّ جواري علانية كما أجرتُك علانية. فانطلقا حتى أتَيَا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يردُ عليَّ جواري، قال عثمان بن مظعون: صَدَقَ، قد وجدتُه وفيًّا كريم الجوار، ولكنِّي قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددتُ عليه جواره، ثم انصرف.

## الهجرة الثانية إلى الحبشة:

اشتد على المسلمين البلاء والعذاب من قريش وسطت بهم عشائرهم. فقد

(١) الغرانيق: جمع غرنوق، وهي الطيور ويراد بها الملائكة.

صعب على قريش مابلغها عن النجاشي من حسن الجوار ولم ير رسول الله ﷺ بداً من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى، وتلك هي الهجرة الثانية والتي كانت أشق من سابقتها، فقد تيقظت قريش لها وقررت إحباطها، بيد أن المسلمين كانوا أسرع، ويسر الله لهم السفر، فإنحازوا إلى نجاشي الحبشة قبل أن يدركوا، وفي هذه المرة هاجر ثلاثة وثمانون رجلاً، وثمان عشرة أو تسع عشرة امرأة (١) .

## مكيدة قريش بمهاجري الحبشة :

عز على المشركين أن يجد المهاجرون مأمناً لأنفسهم ودينهم، فاختاروا رجلين جليدين لبيبين وهما؛ عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، قبل أن يسلما، وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشي وبطارقته. فساق الرجلان تلك الهدايا إلى البطارقة، وزادوهم الحجج التي يطرد بها أولئك المسلمين، واتفقت البطارقة أن يشيروا على النجاشي بإقصائهم، ثم حضرا إلى النجاشي وقدما له الهدايا وكلماه فقالا : "أيها الملك أنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين آبائهم وقومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لانعرفه نحن ولا أنت. وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه" . وقالت البطارقة :صدقا أيها الملك،فأسلمهم إليهما،ليردوهم إلى قومهم وبلادهم.

ولكن النجاشي رأى أنه لابد من تمحيص القضية، وسماع أطرافها جميعاً، فأرسل إلى المسلمين، ودعاهم فحضروا، وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائناً ماكان، وعلى أن يتولى الحديث عنهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

فلما دخلوا عليه، قال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في دينى، ولا دين أحد من الملك؟ قال جعفر: أيها الملك، كنا

(١) انظر : زاد المعاد ١ / ٢٤ رحمة للعالمين ١ / ٦١ .

قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ماكنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئاً،وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ماجاءنا به من دين الله. فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ماحرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ماكنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بين ديننا، خرجنا إلى بلادك، وإختيرناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لانظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال جعفر: نعم. فقال النجاشي فاقرأه عليَّ. فقرأ عليه جعفر رضي الله عنه صدراً من قول الحق: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [ مريم : ١ ] ، فبكى والله النجاشي، حتى أخضلت لحيته، وبكت أساقفته، حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم [١] ، ثم قال لهم النجاشي: أن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة. إنطلقا فلا والله لا أسلمكم إليهما. فخرجا، وقال عمرو بن العاص لصاحبه والله لأتينهم غداً، ما أستأصل به خضراءهم، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة لاتفعل، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا، ولكن عمرو بن العاص أصر على رأيه.

---

(١) هم الذين نزل فيهم قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾... إلى قوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ، سورة المائدة الآيتان رقم ٨٢- ٨٣ .

فلما كان الغد قالا للنجاشي :أيها الملك : إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً. فأرسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم في المسيح، ففزعوا، ولكن أجمعوا على الصدق كائنا ماكان، فلما دخلوا عليه وسألهم، قال له جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فأخذ النجاشي عوداً من الأرض، ثم قال والله ماعدا عيسى بن مريم ماقلت هذا العود، فتناخرت[١] بطارقته،فقال :وإن نخرتم .ثم قال للمسلمين: أذهبوا فأنتم شيوم[٢] بأرضي،من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبراً[٣] من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم. وقال لحاشيته: ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي ، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه. قالت أم سلمة التي تروى هذه القصة: فخرجا من عنده مقبوحين، مردوداً عليهما ماجاءا به، وأقام المسلمون عنده بخير دار مع خير جار، نحو أحد عشر عاماً [٤] . ثم رحلوا إلى المدينة المنورة، في السنة السابعة من الهجرة، بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إليها وبعد أن تم بينه وبين قريش صلح الحديبية.

## هجرة أبي بكر الصديق إلى الحبشة :

استأذن أبو بكر الصديق من رسول الله ﷺ أن يهاجر إلى الحبشة، فأذن له رسول الله ﷺ. فلما سار مسافة قرابة اليومين، لقيه ابن الدُّغُنَّة، وهو يومئذ سيد الأحابيش [٥] فقال له إلى أين ياأبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، وآذوني وضيقوا عليَّ. فقال ابن الدُّغُنَّة: ولم، فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم، ارجع فأنت في جواري. فرجعا معاً

---

(١) يقال نخر إذا رفع صوته بخيشومه.
(٢) الشيوم: الآمنون بلسان الحبشة.
(٣) الدبر: الجبل بلسان الحبشة.
(٤) ابن هشام ملخصاً ١ / ٣٣٤ - ٣٣٨ .
(٥) الأحابيش: قوم تحالفوا بالأحبش، واد ببطن مكة، فقيل لهم الأحابيش. وهم بنو الحارث من كنانة، والهُون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق بن خزاعة.

حتى إذا دخلا مكة، قام ابن الدُّغُنَّة فقال: يامعشر قريش، إني قد أجرت ابن أبي قحافة، فلا يعرضنَّ له أحد إلا بخير.

## أبو بكر الصديق يرد جوار ابن الدُّغُنَّة:

كان أبو بكر يصلي في مسجد عند باب داره، ويقرأ القرآن ويبكي، فيقف عليه الصبيان والنساء والعبيد يعجبون لما يرون من هيئته وبكائه وقراءته. فبلغ قريش ذلك، فأتوا إلى ابن الدُّغُنَّة، وقالوا له: إنك لم تُجرْ هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكى،وكانت له هيئة، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم، فأته فَمُرْه أن يدخل بيته ويصنع فيه ما يشاء. فذهب ابن الدُّغُنَّة إلى أبي بكر، وقال له: يا أبا بكر، إني لم أجرك لتؤذي قومك، إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه، وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت. فقال أبو بكر: أو أرد عليك جوارك؟ قال ابن الدُّغُنَّة: فاردد عليَّ جوارى. فردَّ أبو بكر عليه جواره. فقام ابن الدُّغُنَّة، فقال: يا معشر قريش، إن ابن أبي قحافة قد ردَّ عليَّ جوارى، فشأنكم بصاحبكم.

وحدث أن مرَّ سفيه من سفهاء قريش بأبي بكر رضي الله عنه وهو عامد إلى الكعبة، فحثى على رأسه الشريفة التراب، ثم مرَّ به رجل آخر من قريش، فقال له أبو بكر: ألا ترى ما يصنع هذا السفيه؟ فرد عليه قائلاً: أنت فعلت ذلك بنفسك. فمضى أبو بكر وهو يقول: رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك.

## الدروس المستفادة:

[ ١ ] شفقة رسول الله ﷺ بأصحابه وإذنه لهم بالهجرة،خشية فتنتهم في الدين.

[ ٢ ] اختيار رسول الله ﷺ للحبشة دليل على سعة علمه ومعرفته بالبلاد المجاورة.

[ ٣ ] حقيقة العلاقة بين ما جاء به محمد ﷺ ، وما جاء به عيسى عليه السلام.

[ ٤ ] أن الدين والاستمساك به وإقامة دعائمه، أساس ومصدر كل قوة، وهو السياج لحفظ كافة الحقوق من مال وأرض وحرية وكرامة.

[ ٥ ] أن الوطن والمال والحياة وسائل لحفظ العقيدة. ذلك أن الدين إذا فُقد، لم يغن من ورائه الوطن والمال والأرض.

[ ٦ ] مشروعية الهجرة، وهي الإنتقال من بلاد الكفر، إلى دار يتمكن فيها العبد من عبادة الله تعالى، بدون تعذيب.

[ ٧ ] بيان فضل أصحاب الهجرة الأولى، ومن بينهم عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ.

[ ٨ ] بيان خطر الشائعات، إذ بها رجع المهاجرون ولاقوا ما لاقوا من العذاب حتى اضطروا إلى الهجرة مرة ثانية.

[ ٩ ] جواز أن يدخل المسلمون في حماية غير المسلمين إذا دعت الحاجة إلى ذلك، بشرط عدم الإضرار بالدعوة الإسلامية، أو تغيير بعض أحكام الدين، أو السكوت على اقتراف بعض المحرمات.

[ ١٠ ] بيان شدة ظلم قريش للمسلمين.

[ ١١ ] بيان خيبة أمل وفد قريش وفشله في مهمته لأنه يحارب الله ورسوله، ومن يحارب الله ورسوله يهزم ويخسر في الدنيا والآخرة.

[ ١٢ ] بيان القوة الإيمانية لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

[ ١٣ ] بيان حكمة وعدل النجاشي رحمه الله.

[ ١٤ ] حرمة الرشوة على المعطي والآخذ.

[ ١٥ ] بيان فضل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وما كان عليه من الإيمان والتقوى.

[ ١٦ ] لا مساومة في الدين.

[ ١٧ ] رد عثمان بن مظعون وأبو بكر الصديق جوار الوليد بن المغيرة وابن الدغنة، مثل عال في التوكل على الله.

[ ١٨ ] الوفاء بالعهد وحقوق الجار من عادة العرب حتى المشركين منهم.

**أهم أحداث العام الخامس من البعثة :**

[ ١ ] الهجرة الأولى إلى الحبشة .

[ ٢ ] عودة المهاجرين ودخولهم مستخفين أو في جوار أحد .

[ ٣ ] عثمان بن مظعون يدخل في جوار الوليد بن المغيرة ثم يرد عليه جواره .

[ ٤ ] الهجرة الثانية إلى الحبشة .

[ ٥ ] مكيدة قريش بمهاجرى الحبشة، بإرسالها وفد إلى النجاشى .

[ ٦ ] شروع أبي بكر الصديق في الهجرة ثم عودته في جوار ابن الدُّغُنَّة .

[ ٧ ] رد أبو بكر الصديق جوار ابن الدُّغُنَّة .

## العام السادس من البعثة

بعد فشل قريش في الوصول إلى مايمكنهم من رسول الله ﷺ عادت إلى ضراوتها وتنكيلها، بأشد مما كان قبل ذلك، وكانت تلك الضراوة من أهم الأسباب في تقوية الإسلام ببطلين من أبطال مكة وهما؛ حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

### إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه:

في أواخر السنة السادسة من البعثة، والأغلب في شهر ذي الحجة، مر أبو جهل برسول الله ﷺ يوماً عند الصفا، فآذاه ونال منه،ورسول الله ﷺ ساكت لايكلمه،ثم ضربه أبو جهل بحجر في رأسه فشجه،حتى نزف منه الدم، ثم انصرف عنه إلى نادي قريش عند الكعبة، فجلس معهم يحدثهم بما فعل برسول الله ﷺ فرحاً وإفتخاراً.

وكانت أَمة لعبد الله بن جدعان، في مسكن لها، عند الصفا ترى ذلك. وأقبل حمزة من القنص متوشحاً قوسه، فأخبرته الأمَة بما رأت من أبي جهل، فغضب حمزة، وكان أعز فتى في قريش وأشده شكيمة، فخرج يسعى، لم يقف لأحد، معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به.

فلما دخل حمزة المسجد، قام على رأس أبي جهل، وقال له: يامصفراً سته، تشتم ابن أخي وأنا على دينه، ثم ضربه بالقوس، فشجه شجة منكرة، وهو يقول رد على هذه إن استطعت. فثار رجال من بني مخزوم، حي أبي جهل، وثار بنو هاشم، حي حمزة. فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة [١] فإني سببت ابن أخيه سباً

(١) أبا عمارة: كناية حمزة بن عبد المطلب.

قبيحاً [١]. وكان إسلام حمزة أول الأمر أنفة رجل، أبي أن يهان مولاه، ثم شرح الله صدره للإسلام، فاستمسك بالعروة الوثقى، وإعتز به المسلمون إيما إعتزاز.

### إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ثلاثة أيام من إسلام حمزة رضي الله عنه وكان رسول الله ﷺ قد دعا الله تعالى: "**اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام**" [٢]. فكان أحبهما إلى الله تعالى، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان عمر معروفاً بحده الطبع، وقوة الشكيمة، وهو واحد من الذين طالما لقى المسلمون منه أشد ألوان الأذى. ويبدو أنه كانت في نفسه مشاعر متناقضة بين إحترامه للتقاليد التي سنها الآباء والأجداد، واسترساله مع شهوات السكر واللهو التي ألفها، ثم إعجابه بصلابة المسلمين وإحتمالهم الأذى والبلاء في سبيل عقيدتهم.

يقول الإمام محمد الغزالي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت تساوره ـ كأي عاقل ـ شكوك كثيرة في أن مايدعو إليه الإسلام قد يكون أجل وأزكى من غيره. وهذا جعله ما أن يثور حتى يخور [٣].

وخلاصة الروايات مع الجمع بينها ـ في إسلامه ـ إنه ذهب ليلة إلى الحرم ودخل في ستر الكعبة، ورسول الله ﷺ قائم يصلى، وقد استفتح سورة "الحاقة". فجعل عمر يستمع إلى القرآن، ويعجب من تأليفه. قال عمر: فقلت في نفسى، هذا والله شاعر، كما قالت قريش. فقرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١)** ﴾. قال عمر: قلت كاهن. فقرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣)** ﴾ ... إلى

---

(١) مختصر سيرة رسول الله ﷺ للشيخ عبد الله بن عبد الوهاب ص ٦٦؛ رحمة للعالمين ١ / ٦٨؛ ابن هشام ١ / ٢٩١، ٢٩٢.

(٢) أخرجه الترمذى عن ابن عمر وصححه وأخرجه الطبرانى عن ابن مسعود وأنس.

(٣) فقه السيرة ص ٩٢، ٩٣.

آخر السورة ]. قال عمر فوقع الإسلام في قلبي [١] . وكان هذا هو أول وقوع لنواة الإسلام في قلبه، لكن كانت قشرة النزعات الجاهلية والعصبية والتقليديه والتعاظم بدين الآباء هى الغالبة على مخ الحقيقة التي كان يتهمس بها في قلبه، فبقى عمر بن الخطاب مجداً في عمله ضد الإسلام، غير مكترث بالشعور الكامن وراء هذه القشرة.

وكان من حدة طبعه وفرط عداوته لرسول الله ﷺ أنه خرج يوما متوشحاً سيفه يريد القضاء على رسول الله ﷺ فلقيه نعيم بن عبد الله النحام العدوى[٢]. فقال: أين تعمد ياعمر؟ قال أريد أن أقتل محمداً قال: كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة وقد قتلت محمداً؟ فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت، وتركت دينك الذي كنت عليه. قال أفلا أدلك على العجب ياعمر؟ أن أختك وختنك قد صبوا، وتركا دينك الذي أنت عليه. فمشى عمر زامراً حتى أتاهما، وعندهما خباب بن الأرت، معه صحيفة فيها " سورة طه"، يقرئهما إياها، وكان خباب يختلف إليهما ويقرئهما القرآن، فلما سمع خباب حس عمر، توارى في البيت. وسترت فاطمة، أخت عمر، الصحيفة، وكان عمر، حين دنا من البيت، قد سمع قراءة خباب إليهما. فلما دخل عليهما، قال: ما هذه الهيمنة التي سمعتها عندكم؟ فقالا ماعدا حديثاً تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما. فقال ختنه: ياعمر أرأيت إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه، فوطئه وطأً شديداً، فجاءت أخته، فرفعته عن زوجها، فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها. وفي رواية ابن إسحاق أنه ضربها فشجها، فقالت، وهي غاضبة: ياعمر إن كان الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله. فلما يئس عمر، ورأى ما بأخته من الدم، ندم واستحى وقال: أعطوني هذا

---

(١) فقه السيرة ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) كان الرجل الذى قابل عمر، نعيم بن عبد الله النحام العدوى فى رواية ابن اسحاق، أو رجل من بنى زهرة فى رواية أنس بن مالك أو رجل من بنى مخزوم فى رواية ابن عباس.

الكتاب الذي عندكم، فأقرؤه. فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم واغتسل. ففعل، ثم أخذ الكتاب فقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم" فقال: أسماء طيبة طاهرة، ثم قرأ ﴿طه ۝١﴾ حتى إنتهى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ۝١٤﴾ [ طه : ١-١٤ ] . فقال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؟ ، دلوني على محمد .

فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت، فقال أبشر ياعمر، فاني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ ، ليلة الخميس "اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام" لك. ثم دله على مكان رسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا. فأخذ عمر سيفه فوشحه، ثم انطلق حتى أتى الدار فضرب الباب فقام رجل ينظر من خلل الباب فرآه متوشحاً السيف، فأخبر رسول الله ﷺ واستجمع القوم، فقال لهم حمزة: مالكم؟ فقالوا عمر. فقال: وعمر افتحوا له الباب، فإن كان جاء يريد خيراً، بذلناه له، وإن كان قد جاء يريد شراً، قتلناه بسيفه، ورسول الله ﷺ داخل يوحى إليه، ثم خرج إلى عمر حتى لقيه في الحجرة. فأخذ رسول الله ﷺ بثوب عمر وحمائل السيف، ثم جذبه جذبة شديدة، فقال: أما أنت منتهياً ياعمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال مانزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم، هذا عمر بن الخطاب،اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب. فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وأسلم فكبَّر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد [١]. كان عمر رضي الله عنه ذا شكيمة، لا يرام، وقد أثار إسلامه شعور بين المشركين بالذله والهوان وكسا المسلمين عزة وشرفاً وسروراً.

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب ص ٧، ١٠، ١١؛ مختصر السيرة للشيخ عبد الله ص ١٠٢، ١٠٣؛ ابن هشام ١ / ٣٤٣- ٣٤٦ .

**أهم أحداث العام السادس من البعثة:**

[ ١ ] إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

[ ٢ ] إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

## العام السابع، والثامن، والتاسع من البعثة

### ميثاق الظلم والعدوان - خبر الصحيفة:

اجتمع صناديد قريش في خيف بني كنانة من وادي المحصب، فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب، أن لايناكحوهم،ولا يبايعوهم،ولا يخالوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلون بيوتهم، ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل. وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق "أن لايقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة، حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل".

**قال ابن القيم:** يقال: كتبهم منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم، ويقال: النضر بن الحارث، والصحيح أنه بغيض بن عامر بن هاشم فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلت يده (١). تم هذا الميثاق وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة.

### أبو طالب يجمع بني هاشم وبني عبد المطلب:

رأى أبو طالب تألب قريش على ابن أخيه، وأن الأمر بينه وبين قريش أصبح جداً لاهزل فيه، وأنه غدا أمر كرامة لابد أن تُصان، وعصبية لابد أن يُدافع عنها، فجمع أهل بيته من بني هاشم وبني عبد المطلب، ولدى عبد مناف، وعرض عليهم مادار بينه وبين قريش، وتشاور معهم فيما يجب أن يُفعل، ودعاهم إلى ما هو عليه من منع ابن أخيه والقيام دونه، فأجابوه إلى ذلك مسلمهم وكافرهم حمية للجوار العربي، واتفق رأيهم جميعاً على أن يذودوا عن شرفهم، وأن يقفوا صفاً وراء رسول الله ﷺ، وإن لم يكونوا على دينه. إلا أبا لهب، فقد خرج بمفرده على إجماعهم، وآثر أن ينحاز إلى قريش (٢).

---

(١) زاد المعاد ٢ / ٤٦.

(٢) ابن هشام ١ / ٢٦٩؛ مختصر سيرة رسول الله ﷺ للشيخ عبد الله بن محمد النجدي ص ١٠٦.

## ثلاثة أعوام في شِعْبِ [١] أبي طالب:

إنحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم، إلا أبا لهب، إلى أبي طالب، ودخلوا معه في شِعْبِه، واجتمعوا إليه ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة. وقطعت قريش عنهم الميره والمادة، فلم يكن المشركون يتركون طعاماً يدخل مكة ولا بيعًا، إلا بادروا فاشتروه، فكان لايصل إليهم شيئًا إلا سرًا، وكانوا لايخرجون من الشعب لشراء الحوائج إلا في الأشهر الحرم. وكان حكيم بن حزام ربما يحمل قمحًا إلى عمته خديجة رضي الله عنها، وقد تعرض له مرة أبو جهل، فتعلق به ليمنعه، فتدخل بينهما أبوالبختري ومكنه من حمل القمح إلى عمته. وكان أبو طالب يخاف على محمد ﷺ فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر رسول الله ﷺ أن يضجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد اغتياله، فإذا نام أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمه فاضجع على فراش رسول الله ﷺ، وأمره أن يأتي بعض فرشهم. واستمرت هذه المقاطعة نحواً من ثلاث سنين، وبنو هاشم وبنو المطلب محصورون في الشعب، حتى اشتد بهم البلاء وبلغ منهم الجهد، حتى أكلوا الخبط [٢]، وورق الشجر، وسُمع صراخ أطفالهم من وراء الشعب.

## نقض صحيفة المقاطعة:

مرت ثلاثة أعوام كاملة والأمر على ذلك، وفي المحرم سنة عشر من النبوة حدث نقض الصحيفة، وفك الميثاق، وذلك أن قريشًا كانوا بين راض بهذا الميثاق وكاره له. فسعى في نقض الصحيفة من كان كارهًا لها، وكان القائم بذلك:

✿ هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤى، وكان يصل بني هاشم في الشعب مستخفيًا بالليل والطعام معه. فكان هو أول كاره لهذه الصحيفة وهذه المقاطعة.

---

(١) الشعب: شق فى الجبل يشبه المخبأ.

(٢) الخبط: ورق ينفض بالمخابط ويجفف ويطحن ويخلط بالدقيق أوغيره ويمزج بالماء فتعلفه الأبل، وهو يشبه "الكسب" الذى تعلف به الأبل الآن.

- زهير بن أبي أمية المخزومي ـ أمه عاتكة بنت عبد المطلب.
- والمطعم بن عدى.
- أبي البختري بن هشام.
- زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد.

فقد تعاهد الخمسة على نقض الصحيفة، واجتمعوا عند الحجون، وقال زهير أنا أبدأكم، فأكون أول من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير عليه حلة، فطاف سبعًا، ثم أقبل على الناس، فقال: يا أهل مكة أنأكل الطعام، ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لايباعون، ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

قال أبو جهل: كذبت، والله لاتشق. فقال زمعة: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حيث كتبت. وقال البخترى: صدق زمعة، لا نرضى ما كتبت فيها، ولا نقر به. قال المطعم بن عدى: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، ومما كُتِبَ فيها. وقال هشام بن عمرو نحوًا من ذلك. فقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل، تشاوروا فيه بغير هذا المكان.

وأطْلَعَ المولى عز وجل رسوله ﷺ على أمر الصحيفة، وأنه سبحانه وتعالى قد أرسل عليها الأرضة، فأكلت مافيها من جور وقطيعة وظلم، إلا ذكر الله عز وجل، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك عمه، فخرج أبو طالب إلى قريش، وأخبرهم أن ابن أخيه قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذبًا خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا. قالوا: قد أنصفت. فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا "باسمك اللهم" وما كان فيها من اسم الله فإنها لم تأكله.

فتم نقض الصحيفة وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب، وقد رأى المشركون أنها آية عظيمة من آيات نبوته، ولكنهم كما أخبر المولى عز وجل عنهم في كتابه الكريم: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [ القمر : ٢ ـ ٣ ] ، فأعرضوا عن هذه الآية وإزدادوا كفراً إلى كفرهم (١) .

## الدروس المستفادة من الحصار:

[ ١ ] بيان حق القرابة والرحم. فقد شارك المشركون، من بني هاشم وبني عبد المطلب،المسلمين في تحملهم الحصار في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، ولم يتخلوا عن رسول الله ﷺ، حمية للقرابة والرحم، وإباء الذل، الذي كان يتلبس بهم لو أنهم خلوا بين محمد ﷺ وقريش ليقتلونه أو ليفتكون به.

[ ٢ ] نبذ الإسلام لبعض العادات الجاهلية، وإبقائه على الكثير منها وتهذيب بعضها. فحماية القريب من حقوق الجار التي دعا إليها الإسلام، حتى إنه جعل للكافر حق على جاره المسلم.

[ ٣ ] اصرار كفار قريش على الشرك واستكبارهم على الحق الذي جاءهم به محمد ﷺ .

[ ٤ ] ثبات المسلمون وعلى رأسهم رسول الله ﷺ على الشدائد، طاعة لأمر الله ومرضاته، وإيثارهم الآخرة على الدنيا.

[ ٥ ] قوة إيمان المؤمنين بحيث تحملوا أنواع مختلفة من الإيذاء والعذاب طول هذه الفترة.

---

(١) تفاصيل المقاطعة فى صحيح البخارى، باب نزول النبى ﷺ بمكة ١ / ٢١٦؛ وباب تقاسم المشركين على النبى ﷺ ١ / ٥٤٨؛ زاد المعاد ٢ / ٤٦؛ ابن هشام ١ / ٣٥٠ – ٣٧٧ .رحمة للعالمين١/٦٩-٧٠ مختصر السيرة للشيخ عبد الله النجدى ص ١٠٦ – ١١٠وبينها إختلاف يسير.

[ ٦ ] ثقة من آمن برسول الله ﷺ بوعده ﷺ أياهم بالنصر والسيطرة على ملك كسرى ولو طال الزمن.

[ ٧ ] صبر رسول الله ﷺ وأصحابه على الشدائد. وأن الأنبياء من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ تحملوا الكثير لنشر ما أرسلهم الله به.

[ ٨ ] ضرورة الثبات على المواقف والمبادىء الحق مهما بلغت الشقة وطالت المشقة.

[ ٩ ] تأييد الله لنبيه ﷺ حينما أعلمه أن الأرضة أكلت ما في الصحيفة من جور وقطيعة وظلم، إلا ذكر الله عز وجل.

[ ١٠ ] بيان أن الإصرار على المعصية يحول بين المرء والتوبة، وأن الله يهدي من يشاء، فعلى الرغم من المعجزات والخوارق التي أجراها الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ فقد ظل الكثير من الكفار على كفرهم.

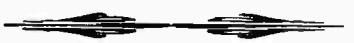

**أهم أحداث العام السابع، والثامن، والتاسع من البعثة:**

[ ١ ] مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ليقتلوه، وكتابتهم ميثاق الظلم والعدوان، وتعليقه بالكعبة.

[ ٢ ] أبو طالب يجمع بني هاشم وبني عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم، للوقوف صفاً واحداً وراء رسول الله ﷺ .

[ ٣ ] بني هاشم وبني عبد المطلب، مؤمنهم وكافرهم، يقضوا ثلاثة أعوام في شِعْبِ أبي طالب.

[ ٤ ] نقض صحيفة المقاطعة بعد أن أخبرهم رسول الله ﷺ أن الأرضة أكلت مافيها من جور وقطيعة وظلم، إلا ذكر الله عز وجل.

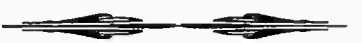

## العام العاشر من البعثة "عام الحزن"

### وفاة أبي طالـــب :

#### موقف قريش من وفاة أبي طالب:

مرض أبو طالب، مرضه الذي توفي فيه، فجاءه كفار قريش يطلبون منه أن يفاوض لهم ابن أخيه، علهم يظفرون بصلح معه قبل وفاة عمه. فبعث أبو طالب إلى النَّبي ﷺ فحضر، فقال له: ياابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا ليعطوك وليأخذوا منك،فقال رسول الله ﷺ :نعم كلمة واحدة تُعطونيها، تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم". فقال أبو جهل: وأبيك عشر كلمات. قال رسول الله ﷺ : تقولون"لا إله إلا الله [١] وتخلعون ما تعبدون من دونه". فصفقوا بأيديهم وقالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن أمرك لعجب. ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل الذي يعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بيننا وبينه، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧ ﴾ [ صٓ : ١-٧ ].

#### موقف رسول الله ﷺ من وفاة أبي طالب:

وفي الصحيح عن ابن المسيب: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل، فقال: أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج

---

(١) لا إله إلا الله: جميع الرسل جاءت بهذه الكلمة المشرفة، وأول من شهد بها الله ثم الملائكة والرسل، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [ آل عمران : ١٨ ] .

لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟ ، ولم يزالا يكلماه حتى قال: على ملة عبد المطلب. واشتد المرض بأبي طالب، فلم يلبث أن وافته المنية، وكانت وفاته في رجب [١] سنة عشر من النبوة، بعد الخروج من الشعب بستة أشهر[٢] ، وقيل توفي في رمضان قبل وفاة خديجة رضي الله عنها بثلاثة أيام. فقال رسول الله ﷺ لأستغفرنَّ لك ، ما لم أُنه عنك ، فنزل قول الحق جل وعلا : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)** ﴾ [ التوبة: ١١٣ ] ، ونزل أيضاً قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾ [ القصص: ٥٦ ] [٣] .

وفي الصحيح أن العباس بن عبد المطلب، قال للنَّبي ﷺ : "ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك" . قال رسول الله ﷺ : "**هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**" [٤] .

## وفاة خديجة رضي الله عنها :

وبعد وفاة أبي طالب، بنحو ثلاثة شهور، توفيت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، عن خمس وستين سنة، وكانت وفاتها في شهر رمضان من السنة العاشرة من النبوة، ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره [٥]. وعليه فقد بقيت خديجة رضي الله عنها ، مع رسول الله ﷺ قرابة خمسة وعشرين عاماً، تؤيده، وتنصره، وتحسن إليه، وتحسن عليه، وتؤازره، وتعينه على إبلاغ رسالته، وتشاركه في مغارم الجهاد المر، وتواسيه بمالها ونفسها. يقول رسول الله ﷺ : "**آمنت بي حين**

---

(١) تاريخ الاسلام للشيخ أكبرخان النجيب أبادى ١ / ١٢٠ .

(٢) مختصر السية للشيخ عبد الله النجدى.

(٣) صحيح البخارى باب قصة أبى طالب ١ / ٥٤٨، سورة القصص آية رقم ٥٦ .

(٤) صحيح البخارى باب قصة أبى طالب ١ / ٥٤٨ .

(٥) نص على ذلك ابن الجوزى فى التلقيح ص٧؛ والعلامه المنصورفورى فى رحمة للعالمين ٢ / ١٦٤ .

**كفر بي الناس، وصدقتني حين كذّبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها وحرم ولد غيرها**" (١) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال :أتى جبريل النبي ﷺ فقال: "يارسول الله هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك، فاقرأ عليها السلام من ربها،وبشرها ببيت في الجنة من قصب،لاصخب فيه ولا نصب"(٢).

**الزواج بسودة رضي الله عنها :**

في شوال من السنة العاشرة من النبوة، تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة رضي الله عنها. وكانت قد آمنت بالله ورسوله، وخالفت أقاربها وبني عمها، وهاجرت مع زوجها وابن عمها، السكران بن عمرو، الهجرة الثانية إلى الحبشة، فمات بأرض الحبشة، أو بعد الرجوع إلى مكة، فلما حلت رضي الله عنها، خطبها رسول الله ﷺ وتزوجها. فلم يكن ثَمَّ أجمل مما صنعه رسول الله ﷺ بزوج رجل آمن به، ولو تركت لقومها، مع ما هم عليه من الغلظة وكراهة الإسلام لفتنوها. فكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة خديجة رضى الله عنهن جميعاً.

**اشتداد أذى قريش برسول الله ﷺ :**

لما توفي أبو طالب، وتوفيت خديجة رضي الله عنها، خلال أيام معدودات، اهتزت مشاعر الحزن والألم، في قلب رسول الله ﷺ ، فقد تجرأ عليه قومه، وكاشفوه بالنكال، والأذى، فازداد غماً على غم، حتى يأس منهم. قال ابن اسحاق: لما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً، ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب، وهي تبكى،ورسول الله ﷺ يقول لها لا تبكي يابنية، فإن الله مانع أباك. قال: ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده ٦ / ١١٨ .

(٢) صحيح البخارى، باب تزوج النبى ﷺ من خديجة وفضلها ١ / ٥٣٩ .

أبو طالب" [١] . **ولقد أُطلق على هذا العام "عام الحزن" [٢] لشدة ما كابد رسول الله ﷺ فيه من الشدائد في سبيل الدعوة.**

## الذهاب إلى الطائف والجهر بالدعوة خارج مكة:

وفي شوال سنة عشر من البعثة [٣] ، خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، ومعه مولاه زيد بن حارثة، رجاء أن يستجيبوا لدعوته، أو يؤوه، وينصروه على قومه. فعمد إلى ثلاثة أخوة من ثقيف، وهم سادتهم؛ عبد ياليل، وحبيب، ومسعود بنو عمرو، فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم ما انتهك منه قومه، فردوا عليه أقبح رد، وآذوه أشد الأذى، ونالوا منه مالم ينله قومه.

## رسول الله ﷺ يدعو ربه:

ولجأ رسول الله ﷺ إلى حائط [٤] لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهما فيه، فعمد إلى ظل حُبْلة [٥] من عنب، فجلس تحت ظلها، وهو مكروب، موجع، تسيل رجلاه دماً، ودعا بالدعاء المشهور الذي يدل على امتلاء قلبه حزناً مما لقى من الشدة، وأسفًا على أنه لم يؤمن به أحد، قال رسول الله ﷺ : **"اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلُني إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدوٍ ملَّكته أمري، إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك، أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك"** [٦] .

---

(١) ابن هشام ١ / ٤١٦ .

(٢) عام الحزن: العام العاشر من بعثة رسول الله ﷺ . وسبب تسميته، ما أعقب وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة، من انغلاق معظم أبواب الدعوة الإسلامية في وجهه. وبهذا اللقب صار معروفاً في التاريخ.

(٣) صرح بذلك النجيب آبادي في تاريخ الإسلام ١ / ١٢٢ .

(٤) حائط: أي بستان.

(٥) الحُبْلة: نوع من الشجر.

(٦) رواه الطبراني، انظر مجمع الزوائد جـ٦ ص ٣٥ .

**موقف "عداس" من رسول الله ﷺ :**

لما رأى عتبة وشيبة ابنا ربيعة، ما لقى رسول الله ﷺ تحرك له رحمهما، فدعيا لهما غلامًا نصرانيًا، من أهل نينوى يقال له "عدَّاس"، فقالا له: خذ قطفًا من العنب، وضعه في ذلك الطبق، ثم أذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. فلما وضعه بين يدى رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ : بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس إلى وجهه، ثم قال: والله، إن هذا الكلام، مايقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله ﷺ : ومن أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ ، قال: أنا نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوى. فقال له رسول الله ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متَّى؟ قال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متَّى؟ قال رسول الله ﷺ : ذلك أخي كان نبيًا وأنا نبي [١] . فلما أخبره بما أوحى الله إليه، من شأن يونس ابن متَّى، أكبَّ عداس على رسول الله ﷺ فقبل رأسه ويديه ورجليه، وهما يسيلان دمًا. فقالا ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك، فقد أفسده عليك. فلما جاءهما، قالا له: ويحك ياعداس، ما لك تقبِّل رأس هذا الرجل، ويديه، وقدميه؟ ولم نرك فعلته بأحد منا؟ ، قال: ياسيدي مافي الأرض خيرٌ من هذا، لقد أخبرني بأمر لايعلمه إلا نبي ، فضحكا به وقالا : لايصرفنك عن نصرانيتك.

**الخروج من الطائف والعودة إلى مكة في جوار المطعم بن عدي :**

أقام رسول الله ﷺ بالطائف شهراً، وقيل عشرة أيام، يدعوهم إلى الإسلام، لا يدع أحد من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فلم يستجيبوا له، ولم يجد منهم خيراً، وخافوا على أحداثهم، فقالوا: يامحمد أخرج من بلدنا، وأغروا به سفهاءهم، فقاموا له صفين،على طريقه، فلما مر رسول الله ﷺ بين صفيهم، جعلوا يسبونه، ويرمونه بالحجارة، حتى أدموا كعبيه الشريفين، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه،

---

(١) قيل أن رسول الله ﷺ ، قال له: " أنا رسول الله، والله أخبرنى خبر يونس بن متى". وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحد من أن يبلغه رسالة ربه.

حتى لقد شج في رأسه شجاجاً. ويقال: أنه كان لايرفع رجليه، ولا يضعهما، إلا رضخوها بالحجارة، حتى أدموا رجليه الشريفتين، واجتمع عليه الناس فخلص منهم ورجلاه تسيلان بالدماء.

وأمام هذه الأحداث صمم رسول الله ﷺ على العودة إلى مكة، واستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام، وإبلاغ رسالة الله الخالدة بنشاط جديد وجد وحماس. وحينئذ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك، يعني قريشاً؟، فقال رسول الله ﷺ: يازيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومُظهر نبيه، ودخل رسول الله ﷺ مسكنه في جوار المطعم بن عدى، الذي تسلح ودعا بنيه وقومه بالتسلح لإجارة محمد ﷺ.

وقد حفظ رسول الله ﷺ للمطعم هذا الصنيع، فقال في أسارى بدر: لو كان المطعم بن عدي حيًا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى، لتركتهم له [١].

## الدروس المستفادة:

[١] بيان أن الصبر على الشدائد من أهم مبادئ الإسلام، وهى وظيفة المسلمين عامة والدعاة إلى الله خاصة.

[٢] أن المحن والمصائب تسوق صاحبها إلى باب المولى عز وجل،وتلبسه جلباب العبودية لله.

[٣] أن الشكوى إلى الله تعبد، والضراعة لله تقرب وطاعة.

[٤] أن الحماية والعناية والنصر إنما تأتي من المولى عز وجل.فلقد قضت حكمة الله تعالى أن يفقد رسول الله ﷺ عمه أبو طالب وزوجته خديجة رضي الله عنها، فيفقد من كان حامياً له ومؤنساً، حتى تتجلى هذه الحقيقة الهامة.

[٥] أن عصمة المولى عز وجل لرسوله ﷺ إنما هى عصمة من القتل ومن أي عدوان من شأنه إيقاف الدعوة الإسلامية، وليست عصمة من الإيذاء أو الاضطهاد أو التعذيب.

---

(١) صحيح البخارى ٢ / ٥٧٣ .

[ ٦ ] أن من حكمة المولى عز وجل أن يذوق الأنبياء قدر غير يسير من الاضطهاد والإيذاء، حتى يستسهل المسلمين كل محنة وعذاب في سبيل الدعوة الإسلامية.

[ ٧ ] وجوب احترام علماء الدين، وجواز تقبيل أيديهم.

## بشائر النصر:

### ملك الجبال يستأذن رسول الله ﷺ :

روى البخاري، عن عروة بن الزبير، أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ : هل أتى عليك يوم، كان أشد عليك من يوم أُحد؟ قال: "**لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهموم، على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب**[١]**، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد استظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فنادانى، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك .وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علىَّ ثم قال: يامحمد، ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين**[٢]، قال رسول الله ﷺ : **بل أرجو أن يخرج الله عز وجل، من أصلابهم من يعبده وحده ولايشرك به شيئاً** "[٣].

وفي هذا الجواب الذي أدلى به رسول الله ﷺ تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الحلم، والخلق العظيم الذي لايدرك غوره. وأفاق رسول الله ﷺ واطمأن قلبه، لأجل هذا النصر الغيبى،الذي أمده الله به، من فوق سبع سماوات.

---

(١) قرن الثعالب: موضع بقرب مكة، وهو المسمى بقرن المنازل.

(٢) الأخشبان: هما الجبلان اللذان يحيطان بمكة وهما أبو قبيس والذى يقابله وهو قعيقعان.

(٣) صحيح البخارى. كتاب بدء الخلق؛ مسلم باب ما لقى النبى ﷺ من أذى المشركين ١ / ٤٥٨ والمنافقين ٢ / ١٠٩.

## الجن يستمعون القـــرآن:

تقـدم رسـول الله ﷺ في طريق مكة، حـتى بلـغ وادي نخلة، وأقـام فيـه أيامـاً، وخلال أقامته هناك بعث الله إليه،نفراً من الجن،ذكرهم المولى عز وجل في موضعين من القرآن،في سورة الأحقاف:﴿ **قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾** ﴾ .

[ الأحقاف : ٢٩ـ ٣١ ] .

وفي سورة الجن: ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾** ﴾ [ الجن : ١ ـ ٢ ] .

## الإســـراء والمعـــراج :(١)

يقصد بالإسراء الرحلة الأرضية العجيبة التي بدأت من المسجد الحرام بمكة وبالتحديد من بيت أم هانئ، حيث خرج رسول الله ﷺ منه إلى المسجد الأقصى بالقدس. ويقصد بالمعراج، ما عَقِبَ هذه الرحلة من ارتفاع في طباق السماوات، حتى الوصول إلى مستوى تنقطع عنده علوم الخلائق ولا يعرف كهنه أحد، ثم الرجوع بعد ذلك، إلى بيت المقدس ثم المسجد الحرام بمكة. وقد أشار القرآن الكريم إلى كلتا الرحلتين في سورتين مختلفتين (٢) .

---

(١) اختلف فى تحديد السنة والشهر الذى حدث فيها الإسراء. وحيث أن الصلوات الخمس فرضت ليلة الإسراء، وأن السيدة خديجة رضي الله عنها قد توفيت قبل أن تفرض الصلوات الخمس، وأن وفاتها كانت فى رمضان سنة عشر من النبوة، فإن الأقوال الراجحة أن الإسراء كان قبل الهجرة بستة عشر شهراً، أى فى رمضان سنة ١٢ من النبوة، أو قبل الهجرة باربعة عشر شهراً، أى فى المحرم سنة ١٣ من النبوة، أو قبل الهجرة باثنا عشر شهراً، أى فى ربيع الأول سنة ١٣ من النبوة. والله أعلم. ( راجع الرحيق المختوم، المباركفورى ).

(٢) أُشير إلى الإسراء فى سورة الإسراء آية رقم ١، وإلى المعراج فى سورة النجم الآيات رقم ١٣-١٨ .

## أولاً: حادثة الإســـراء :

قال الله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [ الإسراء: ١ ] .

فلقد أُسرى برسول الله ﷺ ليلاً، في وقت السكون، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذي بارك الله حوله، بكثير من النعم السابغة، الظاهرة والباطنة، المادية منها والروحية . ولقد افْتُتِحَتْ الآية الكريمة الحديث عن رحلة الإسراء، بتسبيحة جل شأنه، وتنزيه عن كل نقص، بيانًا على أنها معجزة فوق مستوى العقل البشري ، وذلك بأسناد الفعل إلى الله العلى القدير .

ولما كانت رحلة الإسراء تشريفًا وتكريمًا لرسول الله ﷺ ، فقد وصفه المولى عز وجل بأسمى الأوصاف، وأكرم المقامات، وهى قوله تعالى ﴿ بِعَبْدِهِ ﴾ أي الذي خلصت عبوديته، وكماله . فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، وتوجه بمكارم الأخلاق، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [ القلم : ١ ] ، وقال رسول الله ﷺ : "**إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق**" .

ولقد كشفت الآية الكريمة الغرض من هذه الرحلة العظيمة ، قال تعالى: ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ومن تلك الآيات، التي أراها الله لحبيبه ومصطفاه ﷺ ، مايدل على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى، مما لايسوغ لجاحد أن يتصدى لهذه المعجزة الخالدة الخارقة بالإنكار، لاسيما وقد أمد الله تعالى الفكر البشري اليوم بفيض غامر من العلوم والمعارف، التي جعلته يرسل الطائرات في الأجواء، ويبعث سفن الفضاء فترسوا على القمر، فكيف ينكر إنسان على خالق القوى، ومدبر السماوات والأرض، أن يسري برسوله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، حادثة الإسراء؟ .

ولقد رجع رسول الله ﷺ يحدث بما رأى ابنة عمه، أم هانئ، التي حاولت معه ألا يخبر أحداً من الكفار بذلك، ولكن رسول الله ﷺ صمم أن يحدث بما رأى من نعم الله سبحانه وتعالى .

ذهب رسول الله ﷺ إلى جوار الكعبة، مفكراً في خشوع وإبتهال، فمر به عدو الله أبو جهل، فقال له: هل من خبر؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم . قال وما هو؟ فقال رسول الله ﷺ : إني أسرى بي الليلة، إلى بيت المقدس . فقال: إلى بيت المقدس؟ قال رسول الله ﷺ : نعم . فقال أبو جهل: أرأيت أن أدعوَ قومك لتخبرهم بما أخبرتني به؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم . فنادى أبو جهل: هيا معشر قريش، فاجتمعوا، فقال رسول الله ﷺ : إنه أسرى بيَّ إلى بيت المقدس، تلك الليلة . فكذبوه واستبعدوا ذلك، وقالوا لأبي بكر أن صاحبك يقول كذا وكذا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أن كان قد قال، فقد صدق . قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إني أصدقه على أبعد من ذلك،أصدقه على خبر السماء .

وقد تمادى القوم في لجاجهم وحوارهم، وأخذوا يسألون رسول الله ﷺ في تعنت وجفاء عن بيت المقدس، ومنهم من كان رآه، وظنوا أنهم بهذه الأسئلة سيوقعون رسول الله ﷺ في الحرج، ولكن رسول الله ﷺ ، وهو المؤيد من قبل ربه، قد وصف لهم بيت المقدس وصفًا دقيقًا كاملاً، وأخبرهم عن آياته، ولما التبس عليه ﷺ بعض الشئ، جلىَ الله له بيت المقدس، ثم جعل رسول الله ﷺ ينظر إليه، دون دار عقيل، وينعته لهم . فقالوا: أما النعت فقد أصاب .

ثم قالوا: أخبرنا عن عيرنا فهى أهم إلينا، هل لقيت منها شيئاً؟ قال ﷺ : نعم مررت بعير بني فلان، وهي بالروحاء، وقد ضلَّ بعير لهم،وهم في طلبه، وكان في رحالهم قدح من ماء،فأخذته وشربته ووضعته كما كان، فاسألوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا؟،فقالوا: هذه آية .ثم قال: مررت بعير بني فلان وفلان راكبان، فنفر بعيرهما، فانكسر، فاسألوهما عن ذلك. قالوا: هذه آية أخرى .

ثم أخذوا يسألونه عن العدة، والأحمال، ودقائق، وملابسات، فوصفها رسول الله ﷺ أكمل وصف، وقال لهم: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق، عليه غرارتان محيطتان . قالوا: هذه آية أخرى .

ومع وضوح هذه الأدلة فقد لج القوم في عنادهم ولم يصدقوا تلك المعجزة الواضحة ، فقد طمس الله على أبصارهم وبصائرهم ، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [ النور : ٤٠ ] .

## الحكمة في كون الإسراء إلى بيت المقدس:

**[ ١ ] ربط رسالات السماء:** فقد ظل بيت المقدس، فترات طويلة، مهبطًا لوحى السماء وموطنًا لإنبثاق النبوات والمعجزات . فلما مضت الحياة سيرتها، وألقت السماء بالأمانة الإلهية والرسالة الخاتمة إلى خاتم النبيين ﷺ قام بأمر الله يصل الحاضر بالماضى، فكانت رحلة إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ربطًا لرسالات السماء السابقة التي عطرت أرضه، وباركت حوله .

**[ ٢ ] بيان أن الإسلام هو الدين الخاتم:** فقد أكرم الله رسوله ﷺ في هذا الموطن، حيث التقى فيه بالأنبياء المرسلين من قبله، فصلى بهم ركعتين إشارة إلى أن الإسلام هو الدين الخاتم . قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [ آل عمران : ٨٥ ] . قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ آل عمران : ٨٥ ] .

**[ ٣ ] بيان أن محمد ﷺ هو الرسول الخاتم:** فمحمد ﷺ هو المتمم لمكارم الأخلاق والمكمل إلينا دعوات السماء قال رسول الله ﷺ : **"مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون ويعجبون به ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين"** (١) .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى ومسلم.

## ثانياً: حادثة المعـــراج :

لم تذكر قصة المعراج مع قصة الإسراء، في السياق القرآني الحكيم، مع أنهما حدثتا في ليلة واحدة، وذلك تنبيهًا لقلوب القوم، وفتحًا للأفق الفكري لديهم، حتى يدركوا الحقيقة عن طريق إيماني سليم، تتضح أدلته أمام أعينهم تدريجيًا، فبعد أن أوضحت حادثة الإسراء،صدق رسول الله ﷺ تأتي القلوب وتثق بالمعجزة الأخرى فيحدثهم القرآن الكريم عن بقية الرحلة وعن المعـــراج. قال الله تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)** ﴾[ النجم : ١ ـ ١٨ ] .

### الإعداد الإلهي للمعراج "حادثة شق الصدر":

وقد سبق المعراج إعداد إلهي لنفس رسول الله ﷺ لمثل هذه الرحلة . فقد جاء جبريل عليه السلام وشق صدره الشريف، ومنحه الله سبحانه وتعالى من القوة الروحية والإعداد الإلهي ما يعينه على تحمل الأخطار، وما يتغلب به على كل عامل من العوامل المانعة للعروج، والسمو للملأ الأعلى، بحيث لايتعارض مع النواميس الكونية والضغوط الجوية .

### فريضة الصلاة في ضوء الرحلة المباركة :

أخرج الإمام أحمد قال: حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: " أتيت بالبراق، وهو دابة بيضاء، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبت، فسار

بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بحلقة الباب، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت . فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن . فقال جبريل: أصبت الفطرة . قال رسول الله ﷺ :

❁ ثم عرج بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل، فقيل له من أنت؟ قال جبريل . قيل: ومن معك؟ قال: محمد . قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: أرسل إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير .

❁ ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل له من أنت؟ قال: جبريل . قيل: ومن معك؟ قال: محمد . قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: أرسل إليه ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى بن مريم فرحبا بي ودعوا لي بخير .

❁ ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل له من أنت ؟ قال: جبريل . قيل ومن معك؟ قال: محمد . قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: أرسل إليه . ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن، فرحب بي ، ودعا لي بخير .

❁ ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل له من أنت؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟قال: محمد . قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد بعث إليه . ففتح لنا، فإذا أنا بأدريس، فرحب بى، ودعا لي بخير . يقول الله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [ مريم : ٥٧ ] .

❁ ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل له من أنت ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد . قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد بعث إليه . ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بى، ودعا لي بخير .

❁ ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، فقيل له من أنت؟ ، قال: جبريل، قيل له ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد بعث إليه . ففتح لنا، فإذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بى، ودعا لي بخير .

❁ ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل له من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد . قيل: وقد أرسل إليه؟ ، قال: قد بعث إليه . ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام، وإذا هو مسند ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لايعودون إليه .

ثم رُفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا أوراقها كآذان الفيلة، وإذا نبقها كقلال هجر . فلما غشيها من أمر الله ماغشيها، تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها . قال: فأوحىَ إليَّ ما أوحى، وقد فرض عليَّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى .

قال: مافرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة . قال: أرجع إلى ربك، فاساله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لاتطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخيرتهم . قال: فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب خفف عن أمتي . فحط عني خمسًا . فنزلت حتى انتهيت إلى موسى . فقال: موسى مافعلت؟ فقلت: حط عني خمسًا . قال: إن أمتك لاتطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاساله التخفيف لأمتك . قال: فلم أزل أرجع بين ربي وموسى، ويحط عني خمسًا خمسًا .

وقال سبحانه وتعالى: " **يامحمد هنَّ خمسُ صلواتٍ كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة . ومن همَّ بحسنة فلم يعملها، كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر . ومن همَّ بسيئة فلم يعملها، لم تكتب، فإن عملها كتبت سيئة واحدة**" . فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته . فقال: ارجع إلى ربك، فاساله التخفيف لأمتك، فإنها لاتطيق ذلك . قال ﷺ : "لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه" (١) .

---

(١) الحديث رواه مسلم بهذا السياق .

وهكذا يتضح لنا سمو مكانة هذه الفريضة، ومنزلتها الهامة عند الله سبحانه وتعالى، فقد استدعى الحبيب حبيبه، وعرج به إلى السموات، حتى كان في حضرته القدسية ليخاطبه مشافهة بهذا الأمر الهام، وبتلك الفريضة المحبوبة "الصلاة" . فمنزلة الصلاة من الدين كمنزلة الرأس من الجسد، فلا دين لمن لا صلاة له . وروى الطبراني في الأوسط والصغير عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **"لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا طهور له، ولا دين لمن لا صلاة له، إنما موضع الصلاة من الدين كوضع الرأس في الجسد"** .

وأيضاً حفلت هذه الرحلة المباركة بمعان كثيرة، ونماذج عديدة، وصوراً بارزةً محسوسةً من الثواب والعقاب، ومن الحلال والحرام . فبينت ثواب المجاهدين، والمخلصين، وعقاب المنافقين، والزناة، وأكلة الربا ومال اليتيم، وخطايا الفتنة، وما إلى ذلك . وعليه فقد عكست الرحلة قيمة الحياة الدنيا، وما ينبغي أن يكون الناس عليه من هدى وإخلاص، بعيداً عن التكالب والتناحر، ومن أمثلة ذلك:

✿ أخرج أحمد وأبو داود من طريق عبد الرحمن بن جبير عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : **"لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدروهم، فقلت من هؤلاء ياجبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم "** .

✿ عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: **"ليلة أسري بي مررت بناس تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت، عادت، فقلت من هؤلاء ياجبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك، يقولون ما لا يفعلون "** .

✿ وأخرج ابن مردويه عن ثمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ : **"رأيت ليلة أسري بي رجلاً يسبح في نهر، يلقم الحجارة، فسألت من هذا ؟ فقيل لي هذا آكل الربا "** .

✿ وعن ابن عباس عن أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: **" ليلة أسرى بي**

**وجدت ريحاً طيبة، فقلت ياجبريل ماهذا؟ قال هذه ماشطة ابنة فرعون وزوجها وابنتها، بينما هي تمشط ابنة فرعون، إذ سقط المشط من يدها، فقالت تعس فرعون، فأخبرت ابنه فرعون أباها بقول الماشطة، فقتلها** " .

✿ وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**لما أسرى بي انتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها أمثال القلال**" .

✿ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لقيت إبراهيم عليه السلام ، ليلة أسرى بى، فقال: "يامحمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

**هل رأى رسول الله ﷺ ربه:**

أخرج البزار من طريق قتادة عن أنس: أن محمداً ﷺ رأى ربه عز وجل . وأخرج أحمد بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "رأيت ربي عز وجل" . وأخرج الطبراني في الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: "أن محمداً ﷺ رأى ربه مرتين؛ مرةً ببصره، ومرةً بفؤاده" . وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال: "نظر محمد إلى ربه؟ " قال: نعم جعل الكلام لموسى، والخلة لإبراهيم، والنظر لمحمد ﷺ . وأخرج البيهقي في ( كتاب الرؤيا ) بلفظ: "**إن الله اصطفي موسى بالكلام، واصطفي محمد بالرؤيا**" . وأخرجه بلفظ: "**أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤيا لمحمد ﷺ** " .

**العطاء الإلهي:**

كان عطاء الله تعالى لرسوله ﷺ في هذه الرحلة المباركة، عطاء فريد، لا مثيل له،على قدر عظمته وحكمته .وفي لقاء رسول الله ﷺ بالأنبياء أثنوا على ربهم:

✿ فقال ابراهيم عليه السلام :الحمد لله الذي اتخذني خليلاً، وأعطاني مسلكاًعظيماً، وجعلني أمة، يؤتم بي ، وأنقذني من النار، وجعلها عليَّ برداً وسلاماً .

❁ ثم إن موسى عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي كلمني تكليمًا، وجعل هلاك فرعون، ونجاة بني إسرائيل على يدي ، وجعل من أمتي قومًا يهدون بالحق وبه يعدلون .

❁ ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي جعل لي مُلكًا عظيمًا، وعلمني الزبور، وألان لىَ الحديد، وسخر لىَ الجبال يسبحن، والطير، وأعطاني الحكمة، وفصل الخطاب .

❁ ثم إن سليمان عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي سخر لىَ الرياح، وسخر لىَ الشياطين، يعملون لىَ ماشئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب، وقدور راسيات، وعلمني منطق الطير، وأتاني من كل شيء فضلاً، وسخر لىَ جنود الشياطين، والأنس، والطير، وفضلني على كثير من عباده المؤمنين، وأتاني ملكًا عظيمًا، لاينبغي لأحدٍ من بعدى،وجعل لىَ ملكًا طيبًا، ليس فيه حساب .

❁ ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه عز وجل فقال:الحمد لله الذي جعلني كلمته، وجعل مثلي كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون،وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل،وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص، وأحى الموتى بإذن الله، ورفعنى وطهرنى،وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم، فلم يجعل للشيطان علينا سبيلاً.

❁ ثم إن محمداً ﷺ أثنى على ربه عز وجل فقال: "كلكم أثنى على ربه وإني مثن على ربي ، فقال: الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعاملين، وكافة الناس، بشيرًا ونذيرًا، وأنزل الفرقان، فيه بيان لكل شيء، وجعل أُمتي خير أُمة أُخرجت للناس، وجعل أُمتي أُمة وسطًا، وجعل أُمتي هم الأولين وهم الآخرين، وشرح لي صدرى، ووضع عني وزري ، ورفع لي ذكري ، وجعلني فاتحًا وخاتمًا .

فقال إبراهيم عليه السلام: بهذا فضلكم محمد ﷺ .

**هل كانت معجزة الإسراء والمعراج يقظة بالروح والجسد معًا؟:**

كانت معجزة الإسراء والمعراج يقظة بالروح والجسد معًا، ولا عبرة بما أثير حولها قديمًا وحديثًا، من مزاعم واهية، لا أساس لها من الصحة . فالمعجزة واضحة وضوح الشمس لمن وقف على نصوص القرآن والسُّنَّة ، وبيان ذلك:

✿ مانسبوه إلى السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت :ما فُقِدَ جسد رسول الله ﷺ . فهى رواية غير صحيحة، سنداً ومتناً، ولا أصل لها . فإن الثابت أن معجزة الإسراء والمعراج تمت في مكة قبل الهجرة، وأن السيدة عائشة رضي الله عنها لم تكن عند رسول الله ﷺ في ذلك الوقت، وإنما بني رسول الله ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله عنها بعد ذلك في المدينة .

✿ وأمَّا ما أسير حول كون الإسراء والمعراج رؤيا منامية، فذلك إدعاء باطل . إذ لو كانت المسألة مسألة رؤيا، وكان إخبار رسول الله ﷺ إياهم على هذا الوجه، لما استدعى الأمر منهم أي تعجب أو استعظام أو استنكار، لأن المرئيات في النوم لاحدود لها. ولو كان الأمر كذلك ما سألوه عن صفات بيت المقدس وأبوابه وسواريه بقصد التحدى.فكيف تكون رؤيا ويُثار حولها كل هذا الضجيج .

✿ في الحديث عن الإسراء والمعراج، جاء التعبير القرآني الحكيم واضحًا كل الوضوح، فبدأه بـ "سبحان" أي تنزيهًا للمولى عز وجل، قال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ** ﴾[ الإسراء: ١ ]،وهذا لايكون إلا في الأمور الهامة العظيمة الأثر.

✿ وجاء أيضًا التعبير القرآني الحكيم بكلمة ﴿ **أَسْرَىٰ** ﴾ وهى موضوعة في اللغة العربية على السير ليلاً، بالحركة المحسوسة في اليقظة .

✿ وجاء أيضًا التعبير القرآني الحكيم،في التنصيص على ذكر رسول الله ﷺ، بكلمة ﴿ **بِعَبْدِهِ** ﴾ . والعبد إنما يطلق على الآدمي جسداً وروحًا، وهذا مما يعنيه الأسلوب القرآني في التعبير "بعبده" ، أي الذي تكاملت فيه أسمى الغايات عند ربه سبحانه وتعالى .

**لماذا لم تكن المعجزة على مرأى من الناس؟ :**

شاء الله الحكيم الخبير، أن تحدث الإسراء والمعراج ليلاً، وعلى غير مرأى من الناس، وكان من اليسير أن تحدث أمامهم، ولكن حكمته تعالى اقتضت أن تكون على غير مرأى منهم لعدة اسباب منها :

[ ١ ] أنها لو حدثت أمامهم لرموها بالسحر، كما كان شأنهم بالنسبة لغيرها من المعجزات، كإنشقاق القمر وغيرها . بل لقد بين القرآن الكريم ذلك عندما حكى قولهم: ﴿ **وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ** ﴾ [ الإسراء: ٩٣ ] . وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٥)** ﴾ [ الحجر : ١٤-١٥ ] .

[ ٢ ] أن معجزة الإسراء والمعراج كانت لتكريم رسول الله ﷺ وإعداده، وإسباغ النعم الإلهية عليه ظاهرة وباطنة، ولم يكن المراد بها دعوة قريش إلى الإسلام . ومع ذلك فقد كان هناك الكثير من الأشياء التي سألوا رسول الله ﷺ عنها فوصفها لهم وأجابهم بما هو معجز، ولكنهم استنكفوا أن يصدقوه وظلوا على كفرهم . لا سيما وقد أتتهم، من قبل، معجزات كثيرة، وعلى رأسها القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

**الغاية من هذه الرحلة :**

**[ ١ ] ليست لتأييد أمر الدعوة:**

إن الإسراء والمعراج، مع كونهما من المعجزات الخارقة إلا إنهما ليستا خاصتين بتأييد أمر الدعوة، وإنما المعجزة التي تحدى بها رسول الله ﷺ القوم هى، القرآن الكريم . ولقد كان لهذه المعجزة أثرها إذ زادت المؤمنين إيمانًا ويقينًا، وإستبشروا برعاية الله لهم، وزادت الكاذبين رجسًا وفتنة قال الله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥)** ﴾ [ التوبة ١٢٤-١٢٥ ] .

**[ ٢ ] تكريم وتقدير رسول الله ﷺ :**

ولقد حدد القرآن الكريم الغاية السامية من هذه الرحلة في قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وهذه الغاية، وهي رؤية الآيات الإلهية، تكريمًا وتقديرًا لرسول الله ﷺ على مكانته العليا التي أعدها له المولى عز وجل . فهي مكافأة ربانية على ما لاقاه رسول الله ﷺ من آلام وأحزان وجوع وحرمان خاصة بعد فقد الناصر والأنيس .

**[ ٣ ] وضع بذور النجاح للمستقبل:**

وقعت هذه الرحلة في منتصف فترة الرسالة المحمدية التي مكثت ثلاثة وعشرين عامًا، فمسحت متاعب الماضي ووضعت بذور النجاح للمستقبل، ليتأهب رسول الله ﷺ والمسلمون لمراحل الكفاح القادمة، من أجل رفع راية الله، ونشر دعوة السماء بين أرجاء العالم .

**[ ٤ ] وحدة الأماكن المقدسة:**

استهدفت الرحلة غاية عظيمة، وهي وحدة الأماكن المقدسة التي أشارت إليها الآية الشريفة، مبينة شرف المسجدين، المسجد الحرام والمسجد الأقصى، حتى تتوطد الصلة وتتوثق العرى فيتوحد الشمل ويجمع المسلمون أمرهم .

**الجهاد في ضوء الرحلة المباركة:**

أبرزت هذه الرحلة المباركة مكانة الجهاد والمجاهدين، بحيث يرى كل مؤمن ومؤمنة من خلال ما أبرزته الرحلة من أضواء، ثواب المجاهدين في سبيل الله وما أفاء الله عليهم من فضل . فقد مر رسول الله ﷺ في رحلته على قوم يزرعون ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان . فقال لجبريل عليه السلام: ماهذا؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف . قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .

[ سبأ : ٣٩ ] .

وهذا النموذج المحسوس يشجعنا على إسترداد المسجد الأقصى، ثالث الحرمين، ومسرى رسولنا محمد ﷺ . قال تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ** ﴾ [ البقرة : ١٩٠ ] .

قال رسول الله ﷺ ، موضحًا مكانة المساجد الثلاثة : "**لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى**" (١) . ويوضح رسول الله ﷺ ما للعبادة فيه من مثوبة مضاعفة، وأجر وافر . فقال ﷺ : "**صلاة في مسجدى هذا بألف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، وصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة**" .

## الدروس المستفادة من رحلة الإسراء والمعراج :

[ ١ ] في اختيار رسول الله ﷺ اللبن على الخمر، دلالة رمزية على أن الإسلام دين الفطرة . أي الدين الذي ينسجم في عقيدته وأحكامه كلها مع ما تقتضيه نوازع الفطرة الإنسانية الأصيلة .

[ ٢ ] إمامة رسول الله ﷺ وصلاة بإخوانه الأنبياء، ركعتين في المسجد الأقصى، إقرارًا مبينًا يوضح أن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه .

[ ٣ ] قدسية بيت المقدس ومكانته عند المولى عز وجل .

[ ٤ ] أن هناك علاقة وثيقة بين ما بُعث به الأنبياء من رابطة الدين الواحد .

[ ٥ ] أهمية الصلاه، الفريضة التي فرضها المولى عز وجل على عباده من فوق سبع سماوات .

[ ٦ ] مكانة الجهاد والمجاهدين،فالمجاهدون في سبيل الله تُضاعف لهم الحسنات .

---

( ١ ) الحديث رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة .

## عرض الإسلام على القبائل والأفراد:

وأمام هذه البشارات، أقشعت سحابة الكآبة والحزن واليأس التي كانت مطبقة على رسول الله ﷺ منذ أن خرج من الطائف، مطروداً مدحوراً، حتى عاد رسول الله ﷺ إلى مكة، في ذي القعدة سنة عشر من النبوة، ليستأنف عرض الإسلام على القبائل والأفراد، ولإقتراب الموسم كان الناس يأتون إلى مكة رجالاً، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، لأداء فريضة الحج، وليشهدوا منافع لهم، وليذكروا اسم الله في أيام معدودات .

انتهز رسول الله ﷺ هذه الفرصة، فآتاهم، قبيلة، قبيلة، يعرض عليهم الإسلام، ويدعوهم إليه، كما كان يدعوهم من قبل . قال الزهرى: وكان ممن سُمِّيَ لنا من القبائل التي آتاها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الإسلام، وعرض نفسه عليها؛ بنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة، وفزارة، ومرة، وحنيفة، وسليم، وعبس، وبنو النضر، وبنو البكاء، وكنده وكلب، والحارث بن كعب، وعذرة، والخصارمة فلم يستجب منهم أحد [١] .

(١) روى ذلك الترمذى، انظر مختصر سيرة رسول الله ﷺ للشيخ عبد الله النجدى ص ١٤٩ .

## أهم أحداث العام العاشر من البعثة

[ ١ ] وفاة أبي طالب وموقف قريش .

[ ٢ ] حزن رسول الله ﷺ على وفاة أبي طالب .

[ ٣ ] وفاة خديجة رضي الله عنها .

[ ٤ ] زواج رسول الله ﷺ بسودة رضي الله عنها .

[ ٥ ] محاولة الجهر بالدعوة خارج مكةو الذهاب إلى الطائف .

[ ٦ ] عدم استجابة رجال الطائف إلى دعوة رسول الله ﷺ .

[ ٧ ] رسول الله ﷺ يدعو ربه .

[ ٨ ] موقف "عداس" من رسول الله ﷺ .

[ ٩ ] عودة رسول الله ﷺ إلى مكة في جوار مطعم بن عدي .

[ ١٠ ] شفقة رسول الله ﷺ بالمشركين وعدم السماح لملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين، راجيًا أن يخرج المولى عز وجل من أصلابهم من يعبده وحده ولا يشرك به شيئًا .

[ ١١ ] استماع الجن إلى القرآن، وتبليغ قومهم .

[ ١٢ ] معجزة الإسراء والمعراج .

# الفصل الثالث

## الجهر بالدعوة خارج مكة: ثلاث سنين
## من العام الحادى عشر إلى العام الثالث عشر من البعثة

- العام الحادى عشر: بدء إسلام الأنصار
- العام الثانى عشر: بيعة العقبة الأولى
- العام الثالث عشر: بيعة العقبة الثانية

# الفصل الثالث
## الجهر بالدعوة خارج مكة

### العام الحادي عشر من البعثة

**رسول الله ﷺ يعرض الإسلام على غير أهل مكة:**

استمر رسول الله ﷺ يعرض الإسلام على الأفراد والأشخاص، في المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز، كما كان يعرضه على القبائل والوفود، وحصل من بعضهم على ردود صالحة، وآمن به عدة رجال بعد هذا الموسم بقليل، في أوائل سنة ١١ من البعثة، منهم .

- سويد بن صامت، الشاعر اللبيب، من سكان يثرب، سماه قومه "الكامل"، لجلده وشعره وشرفه ونسبه .
- أياس بن معاذ من الأوس .
- أبو ذر الغفاري .
- طفيل ابن عمرو الدوسي .
- ضماد الأزدي من أزد شنوءة من اليمن .

**زواج رسول الله ﷺ بعائشة رضي الله عنها :**

وفي شوال من السنة ١١ من البعثة، تزوج رسول الله ﷺ عائشة الصديقة بنت الصديق، وهى بنت ست سنين، وبني بها بالمدينة في شوال في السنة الأولى من الهجرة النبوية المشرفة، وهي بنت تسع سنين .

## تدابير إلهية لقبول الدعوة الإسلامية:

كان سكان المدينة المنورة خليطًا من العرب المشركين واليهود . وينقسم العرب إلى قبيلتين كبيرتين؛ إحداهما الأوس، والثانية الخزرج . وكان اليهود ثلاثة قبائل؛ بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع . واحتال اليهود طويلاً حتى زرعوا الضغائن بين قبيلتي الأوس والخزرج، فراح العرب يأكل بعضهم بعضًا في حروب طاحنة متلاحقة، لبثت بينهم مائة وعشرين سنة (١) .

وفي غمار هذه الخصومة الطويلة حالف كل من الأوس والخزرج، قبيلة من اليهود . فحالف الأوس بني قريظة، وحالف الخزرج بني النضير وبني قينقاع . وكان آخر ما بينهم من المواقع موقعة بعاث التي مات فيها أكثر رؤسائهم، وذلك قبل الهجرة النبوية بسنوات قليلة . وكان كلما وقع شئ بين العرب واليهود، هدد اليهود العرب بأن نبيًا قد آن أوان بعثته، وأنهم سيكونون من أتباعه، ويقتلونهم به قتل عاد وإرم .

هذه الظروف والملابسات، جعلت لدى أهل المدينة تطلعًا لهذا الدين، وعلقت منهم أمالاً قوية عسى أن تتوحد بفضله صفوفهم، ويلتئم شملهم، وتذوب أسباب الشقاق فيما بينهم .

## بدء إسلام الأنصار:

ظل رسول الله ﷺ يخرج ليلاً، إلى القبائل حتى لايحول بينه وبينهم أحد من أهل مكة المشركين، فمر يومًا ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه على منازل ذهل، وشيبان بن ثعلبة، وكلمهم في الإسلام، فلم يقبلوا . ثم مر رسول الله ﷺ بعقبة منًى، فسمع أصوات رجال يتكلمون، فعمد إليهم حتى لحقهم، وكانوا ستة نفر من شباب يثرب، أراد الله بهم خيراً، كلهم من الخزرج وهم:

---

(١) مختصر سيرة الرسول لمحمد عبد الوهاب: ١٢٤ .

- أسعد بن زراره، من بني النجار .
- عوف بن الحارث بن رفاعة، ابن عفران، من بني النجار أيضًا .
- رافع بن مالك بن العجلان، من بني زريق .
- قطبة بن عامر بن حديدة، من بني سلمة .
- وعقبة بن عامر بن نابى، من بني حرام بن كعب .
- وجابر بن عبد الله بن رئاب، من بني عبيد بن غنم .

عندما كلمهم رسول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن، قال بعضهم لبعض: تعلمون والله ياقوم إنَّه للنبي الذي تتوعدكم به اليهود، فلا تسبقنَّكم إليه، فأسرعوا إلى الإجابة، وأسلموا، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر مابينهم، فعسى الله أن يجمعهم بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه، من هذا الدين، فإن يجمعهم عليك، فلا رجل أعز منك . ولما رجع هؤلاء إلى المدينة حملوا إليها رسالة الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار، إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ (١) .

## الدروس المستفادة:

[ ١ ] أن النصر مع الصبر .

[ ٢ ] مكر اليهود، واحتيالهم الدائم لزرع الضغائن بين العرب .

[ ٣ ] عسى أن يكره المؤمن شيئًا، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً .

[ ٤ ] فضل الـ ٦ نسمات المباركة من أهل يثرب، فهم نواة الدولة الإسلامية .

## أهم أحداث العام الحادي عشر من البعثة

- بدء إسلام الأنصار .

---

(١) زاد المعاد ٢ / ٥٠؛ ابن هشام ١ / ٤٢٨- ٤٣٠ .

## العام الثاني عشر من البعثة

### بيعة العقبة الأولى:

كان من جراء إسلام الـ ٦ نفر من أهل يثرب، في موسم الحج سنة إحدى عشر من البعثة، أن حضر في موسم الحج التالي سنة اثنا عشر من البعثة، اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة المذكورين [١] وسبعة سواهم وهم:

[ ١ ] معاذ بن الحارث، ابن عفراء من بني النجار، من الخزرج .

[ ٢ ] ذكوان بن عبد القيس، من بني زريق، من الخزرج .

[ ٣ ] عبادة بن الصامت، من بني غنم، من الخزرج .

[ ٤ ] يزيد بن ثعلبة، من حلفاء بني غنم، من الخزرج .

[ ٥ ] العباس بن عبادة بن نضلة، من بني سالم، من الخزرج .

[ ٦ ] أبو الهيثم بن التيهان، من بني عبد الأشهل، من الأوس .

[ ٧ ] عويم بن ساعدة، من بني عمرو بن عوف، من الأوس .

اتصل هؤلاء النفر برسول الله ﷺ عند العقبة بمنى، وبايعوه . روى البخاري عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال: تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولاتسرقوا، ولاتزنوا، ولاتقتلوا أولادكم، ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولاتعصوني في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب منكم شيئًا، فعوقب به في الدنيا فهو كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا، فستره الله،فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه.قال: فبايعته، وفي رواية، فبايعناه على ذلك.وقد عرفت هذه البيعة، ببيعة النساء،أي وفق بيعتهنَّ التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة، أي إنه لم يبايعهم فيها على الحرب والجهاد.

---

(١) تغيب جابر بن عبد الله بن رئاب.

## أول سفير في الإسلام:

بعد أن تمت البيعة، وانتهى موسم الحج، بعث رسول الله ﷺ مع هؤلاء المبايعين، أول سفير في الإسلام، مصعب بن عمير العبدري رضي الله عنه، ليعلم المسلمين شرائع الإسلام، وليفقههم في الدين، وليقوم بنشر الإسلام بين أهل يثرب. فنزل مصعب بن عمير على أسعد بن زرارة، وأخذا يبثان الإسلام في أهل يثرب بجد وحماس. وقبل موسم الحج التالي- أي حج السنة الثالثة عشر- عاد مصعب بن عمير إلى مكة، يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز، ويقص عليه خبر قبائل يثرب، ومافيها من مواهب الخير، ومالها من قوة ومنعة [١].

## الدروس المستفادة:

[ ١ ] الجهاد والصبر المتواصل هو وحده ثمن الثمار التي أخذت تبدوا على رأس إحدى عشر سنة من دعوة رسول الله ﷺ.

[ ٢ ] الجهاد والصبر والتعب وخوض الشدائد سُنَّة الله في عباده حتى يتحقق فيهم التعبد له اختياراً، كما تحققت فيهم صفة العبودية له إجباراً. لأنه لا يتحقق التعبد بدون بذل الجهد، ولا يمحص الصادق من المنافق بدون عذاب أو استشهاد، وليس من العدل أن يكسب الإنسان الغنم دون أن يبذل في سبيل ذلك شيئًا من الغرم.

[ ٣ ] أن الإسلام ليس فقط مجرد النطق بالشهادتين. بل هو الجزم القلبي والنطق اللساني بهما ثم الإلتزام بالصبغة الإسلامية عن طريق التمسك بنظم الإسلام وأخلاقه ومبادئه، كما فعل شباب يثرب.

---

(١) ابن هشام ١ / ٤٣٥- ٤٣٧، ٢ / ٩٠؛ زاد المعاد ٢ / ٥١.

[ ٤ ] إن الدعوة الإسلامية ليست وقفًا على الأنبياء والرسل، ولا خلفائهم وورثتهم من العماء الذين يأتون من بعدهم، وإنما الدعوة الإسلامية جزء لا يتجزأ من حقيقة الإسلام نفسه .

[ ٥ ] فضل مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام .

**أهم أحداث العام الثاني عشر من البعثة :**

✿ بيعة العقبة الأولى .

## العام الثالث عشر من البعثة

### بيعة العقبة الثانية:

في موسم الحج في السنة الثالثة عشر من البعثة ـ يونيو سنة ٦٢٢م حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفسًا من المسلمين من أهل يثرب، جاءوا ضمن حجاج قومهم من المشركين . وقد تساءل هؤلاء المسلمون فيما بينهم ـ وهم لايزالون في يثرب أو كانوا في الطريق ـ حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟

فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ إتصالات سرية، أدت إلى إتفاق الفريقين، على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق، في الشعب التي عند العقبة، حيث الجمرة الأولى من مِنى، وأن يتم هذا الإجتماع في سرية تامة في ظلال الليل .

يقول كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه : "خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة، من أوسط أيام التشريق، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، معنا عبد الله بن عمرو بن حرام، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا ـ وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ـ فكلمناه، وقلنا له يا أبا جابر: أنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وأنا نرغب بك عما أنت فيه، تكون حطبًا للنار غدًا، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا عند العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبًا" .

قال كعب: "فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا، لميعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى إجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من نسائنا، نسيبة بنت كعب ـ أم عمارة ـ من بني مازن بن النجار وأسماء بنت عمرو ـ

أم منيع ـ من بني سلمة" . فاجتمعنا في الشعب، ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا، ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، فكان أول متكلم [١] .

قال العباس : "يامعشر الخزرج، وكان العرب يسمون الأنصار خزرجًا، خزرجها وأوسها كليهما، إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، من هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعه بلده، وإنه قد أبى إلا الإنحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وماتحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه، وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعه من قومه وبلده .قال كعب: "فقلنا له:قد سمعنا ماقلت، فتكلم يارسول الله،فخذ لنفسك ولربك ما أحببت [٢]. فالقى رسول الله ﷺ بيانه، بعد ذلك، ثم تمت البيعة .

## بنـــــود البيعـــــة:

**روى الإمام أحمد عن جابر مفصلاً، قال: جابر قلنا: يارسول الله على ما نبايعك؟ قال رسول الله ﷺ :**

[ ١ ] على السمع والطاعة في النشاط والكسل .

[ ٢ ] وعلى النفقة في العسر واليسر .

[ ٣ ] وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

[ ٤ ] وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم .

[ ٥ ] وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة [٣] .

---

(١) ابن هشام ١ / ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٢) ابن هشام ١ / ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٣) رواه الأمام أحمد بإسناد حسن، وصححه الحاكم وابن حبان انظر مختصر السيرة للشيخ النجدى ص ١٥٥ .

فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله ﷺ ، ثم قال : نعم، والذي بعثك بالحق نبيًا، لنمنعنَّك مما نمنع أُزُرَنا [١] منه، فبايعنا يارسول الله، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر .

قال : فاعترض القول ـ والبراء يكلم رسول الله ﷺ ـ أبوالهيثم بن التيهان، فقال : يارسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا لقاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال : فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال : بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم [٢] .

وفي رواية جابر قال : فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة ـ وهو أصغر السبعين ـ فقال رويداً، يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد الأبل، إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك، فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة، فذروه، فهو أعذر لكم عند الله [٣] .

## عقد البيعة :

وبعد إقرار بنود البيعة، وبعد هذا التأكيد والتأكد، بدأ عقد البيعة بالمصافحة، قال ـ بعد أن حكى قول أسعد بن زرارة ـ فقالوا يا أسعد، أمط عنا يدك، فوالله لأنذر هذه البيعة ولا نستقبلها [٤] . وحينئذ عرف أسعد مدى إستعداد القوم للتضحية، في هذا السبيل وتأكد منه، وكان هو الداعية الكبير مع مصعب بن عمير، وبالطبع فكان هو الرئيس الديني على هؤلاء المبايعين ـ فكان هو السابق إلى هذه البيعة.

---

(١) أُزُرَنا : كانت العرب تكنى عن المرأة بالإزار، وتكنى أيضاً بالإزار عن النفس.

(٢) ابن هشام ١ / ٤٤٢ .

(٣) ابن هشام ١ / ٤٤٦ .

(٤) رواه الإمام أحمد من حديث جابر.

قال ابن اسحاق: يزعم بنوا النجار، أن أبا أمامة، أسعد بن زرارة، كان أول من ضرب على يده . وبعد ذلك بدأت البيعة العامة، قال جابر: فقمنا إليه رجلاً رجلاً، فأخذ علينا البيعة يعطينا بذلك الجنة . وأما بيعة المرأتين اللتين شهدتا فكانت قولاً، ما صافح رسول الله ﷺ أمرأة أجنبية قط [١] .

**النقبـــــاء:**

وبعد أن تمت البيعة طلب رسول الله ﷺ انتخاب اثنى عشر زعيمًا، يكونون نقباء على قومهم، فتم انتخابهم في الحال؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

**نقباء الخزرج :**

[ ١ ] أسعد بن زرارة بن عدس .

[ ٢ ] سعد بن الربيع بن عمرو .

[ ٣ ] عبد الله بن رواحه بن ثعلبة .

[ ٤ ] رافع بن مالك بن العجلان .

[ ٥ ] البراء بن معرور بن صخر .

[ ٦ ] عبد الله بن عمرو بن حرام .

[ ٧ ] عبادة بن الصامت بن قيس .

[ ٨ ] سعد بن عبادة بن دليم .

[ ٩ ] المنذر بن عمرو بن خنيس .

**نقباء الأوس:**

[ ١ ] سيد بن حضير بن سماك .

[ ٢ ] سعد بن خيثمة بن الحارث .

[ ٣ ] رفاعة بن عبد المنذر بن زبير .

---

( ١ ) انظر صحيح مسلم باب كيفية بيعة النساء ٢ / ١٣١ .

ولما تم إنتخاب هؤلاء النقباء أخذ عليهم النَّبي ﷺ ميثاقًا آخر بصفتهم رؤساء مسئولين . فقال لهم: أنتم على قومكم، بما فيهم، كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي ـ يعني المسلمين ـ قالوا نعم (١) .

## شيطان يكتشف المعاهدة:

لما قرع خبر البيعة آذان قريش، نادى أحد الشياطين، الذي اكتشف البيعة، بأعلى صوته على مرتفع من الأرض: يا أهل الأخاشب، هل لكم في محمد والصباة معه، قد اجتمعوا على حربكم؟، فقال رسول الله ﷺ : "هذا خنزب العقبة، أما والله ياعدو الله لاتفرغنَّ لك، ثم أمرهم أن ينفضوا إلى رحالهم" (٢) .

## قريش تقدم احتجاج إلى رؤساء يثرب:

أثار خبر البيعة في قريش ضجة كبيرة أثارت القلاقل، لأنهم كانوا على معرفة تامة من عواقب مثل هذه البيعة، ونتائجها بالنسبة إلى أنفسهم وأموالهم، فتوجهوا بزعمائهم إلى مخيم أهل يثرب ليقدموا احتجاجهم على هذه المبايعة .

**قال زعيم وفد مكة:** "يامعشر الخزرج، أنه قد بلغنا ، أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا، تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وأنه والله ما من حي من العرب، أبغض إليه من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم" (٣) . فانبعث مشركوا الخزرج، وكانوا لايعرفون شيئًا عن البيعة، لأنها تمت سرًا وفي ظلام الليل، يحلفون بالله ما كان من شيء،وما علمناه. ثم أتوا عبد الله أبي بن سلول فجعل يقول: هذا باطل، وما كان هذا، وما كان هذا، وما كان قومي ليأتوا على مثل هذا، ولو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤامروني .

---

(١) ابن هشام ١ / ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦ .
(٢) زاد المعاد ٢ / ٥١ .
(٣) ابن هشام ١ / ٤٤٨ .

أما المسلمون فنظر بعضهم إلى بعض، ثم لازوا بالصمت، فلم يتحدث أحد منهم بنفي أو إثبات . فمال زعماء قريش إلى تصديق المشركين ورجعوا خائبين .

هذه هي بيعة العقبة الثانية، التي تعرف ببيعة العقبة الكبرى، وهي أعظم كسب حصل عليه الإسلام منذ بداية دعوته، وقد تمت في جو يعلوه عواطف الحب والولاء والتناصر بين أشتات المؤمنين، والثقة والشجاعة والاستبسال في هذا السبيل . وهكذا زرع رسول الله ﷺ بيوتًا مسلمة في يثرب، فإذا ماهاجر فارًا بدينه، وجد في يثرب ملاذًا آمنًا .

## بدء هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة:

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية، ونجح الإسلام في تأسيس وطن له، وسط الصحراء التي تموج بالكفر والجهالة، أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى هذا الوطن . وبدأ بالفعل المسلمون يهاجرون، وأخذ المشركون يحسون بالخطر، محاولين أن يحولوا بين المسلمين وبين خروجهم . ولكن خرج الناس أرسالاً يتبع بعضهم بعضه، وبعد شهرين وبضعة أيام، من بيعة العقبة الكبرى، لم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، الذان أقاما بأمره ﷺ ، ومن احتبسه المشركون كرهًا . وقد أعد رسول الله ﷺ جهازه، ينتظر متى يؤمر بالخروج، وكذلك أعد أبو بكر الصديق رضي الله عنه جهازه .

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ للمسلمين: "**إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين ، وهما الحرتان** " . فهاجر من هاجر إلى المدينة، وتوجه عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد تجهز ليهاجر إلى المدينة، فقال له رسول الله ﷺ على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي. فقال له أبو بكر رضي الله عنه، وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم . فحبس أبو بكر رضي الله عنه نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وأعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر ـ وهو الخبط ـ أربعة أشهر (١) .

(١) صحيح البخارى، باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه ١ / ٥٥٣ .

**أهم أحداث العام الثالث عشر من البعثة :**

[ ١ ] بيعة العقبة الثانية ، وهي أعظم كسب حصل عليه الإسلام منذ بداية دعوته .

[ ٢ ] اكتشاف قريش للبيعة وتقديمها احتجاج إلى رؤساء يثرب .

[ ٣ ] بدء هجرة المسلمين إلى يثرب، المدينة المنورة .